وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الموسـومة بـــــــــــ:

دور علماء المغرب في تنشيط الحياة العلمية في المدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين

من إعداد الطلبة :

– سجاتي خالد

– دويني محمد أمين

– إشراف الأستاذ:

د– إلياس زلماط

اللجنة المناقشة:

د. بن خلوة حسين	رئيسا
د. إلياس زلماط	مشرفا ومقررا
د. حاكمي لحبيب	مناقشا

السـنـة الجـامـعـية: 2023م – 2024م/1444هـ – 1445هـ

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين.

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور "إلياس زلماط" الذي أشرف

على هذه المذكرة ومنحنا توجيهات وإثراءات القيمة

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أعضاء اللجنة على قبولهم مناقشة هذا

العمل.

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأصدقاء والزملاء.

إهداء

نهدي هذا العمل إلى

إلى الأباء الأعزاء و الأمهات الغاليات أطال الله في عمرهم

إلى الإخوة والأخوات الأعزاء وصديقي ياسين يحياوي الذي ساعدني في مشواري الدراسي.

و إلى كل من ساعدني في إعداد هذه المذكرة

قائمة المختصرات:

هـ	هجري
م	ميلادي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ط	طبعة
ج	جزء
ص	صفحة

المقدمة

مقدمة:

إن العلاقة العلمية التي تربط بلاد المغرب ببلاد الحجاز،علاقة تمتد أواصرها منذ فتح الصحابة ﷺ بلاد المغرب " إفريقية "،واستمرت هذه الأواصر تزداد متانة جيل بعد جيل عبر العصور،نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم إلى بلاد الحجاز من مختلف الأقطار، ولما كانت أرض الحرمين الشريفين تحظى بمكانة مميزة لدى المسلمين عامة والمغاربة خاصة،لارتباطهم الروحي بها كيف لا وهي قبلة المسلمين جميعا ومهوى أفئدتهم ، كما أن للحرم المدني مكانة وقدسية عظيمة لدى المغاربة بحكم أنها مثوى رسول الله ﷺ وموطن المذهب المالكي الذي كان يتمذهب به جل المغاربة ،هذا ما شجعهم ليمموا وجوهم شطر تلك البلاد المباركة،إضافة إلى ذلك الفضاء العلمي والمعرفي الذي كانت تزخر به المدينة المنورة وتلك النهضة العلمية المتجددة التي كانت تعيشها،كل هذا جعل منها مركزا علميا هاما وقبلة يقصدها طلاب العلم والعلماء من شتى أسقاع العالم الإسلامي، ومن هذا المنطلق أحببنا البحث في هذا الموضوع الذي جاء تحت عنوان:

"دور علماء المغرب الإسلامي في تنشيط الحياة العلمية بالمدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين. "

ومن خلال هذا العنوان أردنا تتبع النشاط الفكري والعلمي للمغاربة وتأثيرهم في المجتمع المدينة المنورة خلال فترة الدراسة.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يدرس تاريخ العلماء المغاربة الذين عاشوا بالمشرق الإسلامي تقريبا منذ نهاية القرن الخامس الهجري وإلى البدايات الأولى للقرن الثامن الهجري، هؤلاء العلماء الذين كتبت عنهم معطيات مفصلة عن حياتهم وإسهاماتهم العلمية ضمن المسار العلمي المشرقي.

وكذا التعرف على البدايات الأولى للرحلات العلمية من المغرب إلى المشرق.

إضافة إلى دراسة التأثيرات المغربية على بلاد المشرق و أن لا فضل للمشارقة على إخوانهم المغاربة ولا فضل للمغاربة على المشارقة بل كانت علاقتهم علاقة تأثير وتأثر متبادل بين الطرفين على حد سواء.

وإخترنا البحث في هذا الموضوع لأن المدينة المنورة تعد واحدة من المراكز الإسلامية الرئيسية في العالم ووجهة مهمة للعلماء وطلبة العلم فمنذ فجر الإسلام وحلقات المسجد النبوي الشريف أشبه بجامعة إسلامية مفتوحة على مختلف أقطار العالم الإسلامي لهذا إرتأينا الوقوف على جهود علماء"المغرب الإسلامي"، وهم مجاورون في "الحرم المدني الشريف" من خلال المصادر التي تحدثت عن تلك الحقبة الزمنية هذا إضافة إلى محاولتنا تسليط الضوء على مدى تأثير وتأثر العلماء المغاربة بها والتعرف عليهم أكثر،هذا من ناحية الدوافع العلمية أما الدوافع الذاتية فإننا كباقي المسلمين دائما مرتبطين روحيا ودينيا بالحرم المدني الشريف ولا دافع أعظم من أن يقف المرء على أمجاد أجداده بأشرف وأقدس بقاع الأرض.

والبحث يطرح ويعالج إشكالية الدور الذي قام به علماء المغرب في تنشيط الحياة العلمية والفكرية بالمدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع هجري والإجابة عن الإشكالية التالية :

هل كان للعلماء المغاربة دور في تنشيط الحياة العلمية والفكرية بالمدينة المنورة ؟

ويندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

-ماهي مظاهر التواصل الفكري والعلمي بين المشرق والمغرب الإسلاميين ؟

-هل كان للمغاربة إنتاج علمي في مختلف أصناف العلوم بالمدينة المنورة ؟

-مامدى تأثيرهم في مجتمع المدينة المنورة ؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة والإجابة على فروعها اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على الوصف والسرد للأحداث و هو المنهج الذي تعتمده أغلب الدراسات التاريخية ثم المنهج التحليلي والمنهج المقارن الذي وظفناهما في تحليل نصوص الكتب ومقارنتها قصد التثبت والتدقيق واستنباط المعلومات اللازمة لتغطية الجوانب العلمية لموضوع البحث.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع و الأهداف المرجوة منه ، رأينا تتبع خطة عمل تتكون من فصل تمهيدي وفصلين آخرين ، وخاتمة -أما الفصل التمهيدي عنونته بـ : الأوضاع العلمية في المدينة المنورة من خلال مؤسساتها التعليمية خلال(القرن 6هـ -7هـ /القرن 12م-13م)"، واحصينا فيه المراكز والمؤسسات العلمية وقسمته إلى أربعة عناصر، خصصت كل عنصر للحديث عن نوع من المؤسسات العلمية فالأول لدراسة المساجد بالمدينة المنورة ،

والثـــاني للمـــدارس والأربطـــة ، والعنصـــر الثالـــث للكتاتيـــب، والرابـــع المكتبـــات ،حيـــث درســـنا في هـــذا المبحـــث بشـــكل مـــوجز الوجـــود المغـــربي في المدينـــة المنـــورة خـــلال العصـــر المملـــوكي ، بالإضـــافة إلى تقـــديم لمحـــة مـــوجزة أيضـــا عـــن الأوضـــاع العامـــة السياســـية والاجتماعيـــة والاقتصـــادية والعلميـــة السائدة خلال حقبة الدراسة.

أمـــا الفصـــل الأول فقـــد جـــاء تحـــت عنـــوان"رحلات المغاربـــة إلى بـــلاد الحجـــاز ودورهـــا في التواصـــل العلمـــي بـــين الغـــرب الإســـلامي والمدينـــة المنـــورة خـــلال القـــرنين الســـادس والســـابع الهجـــريين "حيـــث قمنـــا بتقســـيمه إلى ثلاثـــة مباحـــث تناولنـــا في المبحـــث الأول مفهـــوم الرحلـــة عنـــد العـــرب كونهـــا الخطـــوة الأولى لتواصـــل المغـــرب بالمشـــرق وذكـــرنا أهميتهـــا في تحصـــيل العلـــوم وبعـــده المبحـــث الثـــاني تطرقنـــا فيـــه للـــرحلات المغاربيـــة إلى المدينـــة المنـــورة الـــتي تنوعـــت بتنـــوع مســـبباتها ودوافعهـــا ،ثم المبحـــث الثالـــث الـــذي قمنـــا فيـــه بإحصـــاء دور العلمـــاء المغاربـــة المجـــاورين علـــى مســـتوى المراكـــز العلميـــة بالمدينـــة المنـــورة وأشـــرنا إلى أبـــرز إســـهاماتهم في كـــل مـــن مجـــال التـــدريس والقضاء والإمامة والإفتاء.

-وجـــاء الفصـــل الثـــاني تحـــت عنوان:"جهـــود العلمـــاء المغاربـــة بالمدينـــة المنـــورة في العلـــوم النقليـــة و العقليـــة والعلـــوم الأخرى"حيـــث خصصـــنا المبحـــث الأول منـــه لجهـــود العلمـــاء المغاربـــة بالمدينـــة المنـــورة في العلـــوم النقليـــة وقمنـــا بتجزئتـــه إلى ثـــلاث عناصـــر العنصـــر الأول علـــوم القـــرآن ثم العنصـــر الثـــاني علـــم الحـــديث و العنصـــر الثالـــث علـــم الفقـــه والأصـــول وقـــد ترجمنـــا في كـــل عنصـــر لأبـــرز العلمـــاء الـــذين ســـاهموا في هاتـــه العلـــوم كـــل حســـب تخصصـــه ومجـــال إبداعـــه أمـــا في المبحـــث الثـــاني تحـــدثنا فيـــه عـــن جهـــود العلمـــاء المغاربـــة بالمدينـــة المنـــورة في العلـــوم العقليـــة والعلـــوم الأخـــرى حيـــث بينـــا فيـــه الـــدور الفعـــال الـــذي قـــام بـــه العلمـــاء المغاربـــة في خدمـــة العلـــوم العقليـــة والعلـــوم الأخـــرى وترجمنـــا فيـــه كـــذلك لأشـــهر العلمـــاء الـــذين بـــرزوا في هـــذا مجـــال وحاولنـــا جمـــع مجموعـــة مـــن الأقـــوال والأدلة على براعتهم وإسهامهم في كل علم على حدا.

-وفي نهايـــة البحـــث خاتمـــة تضـــمنت أهـــم النتـــائج الـــتي توصـــلنا إليهـــا يتبعهـــا الفهـــرس العـــام وقائمـــة للمصادر والمراجع المعتمدة.

ولإنجـــاز هـــذا العمـــل اعتمـــدنا علـــى مجموعـــة مـــن المصـــادر والمراجـــع الـــتي كانـــت لهـــا صـــلة بالموضوع شملت:

أولا: كتب التراجم والطبقات:

نستعرض أهم هذه الكتب التي وظفناها في جمع المادة العلمية في هذا المجال وترجمت للعديد من العلماء المغاربة الذين رحلوا الى المدينة المنورة وجاوروا بها:

"-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب":لابن فرحون إبراهيم بن علي (ت799ه)تضمن هذا الكتاب مجموعة من تراجم العلماء المغاربة وذكر بعض مصنفاتهم بمكة والمدينة.

"- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة":لشمس الدين بن عبد الرحمان السخاوي(ت902ه)استعنا به من على جمع تراجم العلماء المغاربة بالمدينة وإحصاء أهم مؤلفاتهم.

"-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع":لشمس الدين بن عبد الرحمان السخاوي اعتمدنا على هذا المصدر في معرفة وظائف العلماء المغاربة بالمدينة المنورة وتتبع أثرهم العلمي خلال فترة الدراسة.

"-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين":تقي الدين الفاسي (ت832ه)وقد أفادنا هذا الكتاب من الترجمة لعلماء بلاد الحرمين ولاسيما أن مؤلف الكتاب مغربي ،إذا وقفنا من خلاله على النشاط العلمي للمغاربة وأهم إنجازاتهم ببلاد الحرمين.

ثانيا: كتب التاريخ:

يمثل هذا صنف من المصادر أهمية كبيرة في هذا البحث حيث قمنا بنقل ما حملته هذه الكتب من زاد معرفي تاريخي وعلمي ومن أهم ما اعتمدنا عليه من الكتب في هذا المجال:

"-العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر":المشهور باسم مقدمة إبن خلدون لعبد الرحمان ابن خلدون(ت808ه)وهو من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ بلاد الغرب الإسلامي حيث أفادنا هذا الكتاب في التعرف على ماهية مختلف العلوم الإسلامية من حيث نشأتها وتعريفها وذكر إسهامات علماء المغرب فيها.

-تاريخ المدينة المنورة المسمى بنصيحة المشاور وتعزية المجاور"لأبو عبد الله البدر بن فرحون التونسي المدني (769ه)وهو من المصادر القيمة التي تطرقت للحياة العلمية بالمدينة المنورة

والترجمة للعلماء المغاربة الذين جاوروا وأثبتوا حضورهم العلمي بها ولقد استعنا به كثيرا في جمع المعلومات عن تلك الحقبة الزمنية التي شملتها دراستنا .

"-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"لشمس الدين الذهبي (ت740ه)اشتهر باسم التاريخ الكبير للذهبي وقد انطلق فيه المؤلف بسرد أحداث الفترة الزمنية الممتدة بين (ه1-700ه)ولقد اعتمدنا عليه في ذكر سلسلة من أحداث المدينة خلال الحقبة الزمنية المدروسة.

ثالثا:كتب الرحلات والجغرافيا:

يعتبر أصحاب هذه المؤلفات شهود عيان لما يرونه عن أوضاع الإجتماعية والعلمية والإقتصادية للأمم ،ولقد دون بعض المرتحلين المغاربة أسفارهم إلى المشرق في كتب صنفت ضمن أهم المصادر التاريخية للتواصل الحضاري بين الشرق والغرب الإسلامين لما تحمله من زاد معرفي وثقافي من أهمها:

"-رحلة ابن جبير":لأبي الحسن بن جبير(ت614ه)عايش بن جبير عصرين الايوبي والمملوكي وشاهد الكثير من لأحداث المهمة في التاريخ لهذا تعتبر شهادته من أبرز الأدلة التي يمكن الإستدالال بها خلال موضوع دراستنا.

"-ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى مكة وطيبة" :لابن رشد أبي عبد الله الفهري السبتي(721ه)كانت من أهم المصادر التي أفادتنا في إنجاز بحثنا حيث أتى المؤلف على الأوضاع العلمية بالمدينة المنورة وذكر أهم العلماء الذين عاصرهم والتقى بهم في بلاد الحرمين الشريفين

رابعا:المراجع الحديثة:

بالنسبة للمراجع المتخصصة بشكل تام في موضوع دراستنا فهي قليلة وفيها معلومات عامة نذكر منها:

"-المدينة المنورة في العصر المملوكي" :لعبد الرحمان المديرس تناول صاحب الكتاب في مؤلفه مشاركة المغاربة في أهم الوظائف العلمية والإجتماعية بالمدينة المنورة خلال الفترة مرتبطة بدراستنا.

"- التاريخ والمؤرخون في المدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر":المؤلف مُحَمَّد الحبيب الهيلة حيث أشار المؤلف في كتابه إلى أهم العلماء الذين ساهموا بكتبهم ومصنفاتهم في التأريخ للمدينة المنورة حيث أفادنا هذا المرجع في جمع ما ألفه المغاربة في مجال التاريخ.

لا تخلو أي دراسة علمية من الصعوبات وقد واجهنا العديد منها أثناء البحث نذكرمنها

قلة خبرتنا في التعامل مع المصادر واستخلاص المعلومات التي تخدم موضوع البحث إضافة إلى تشعب المادة العلمية المنتشرة في كتب التراجم والسير،ضف إلى ذلك التشابه الكبير بين العلماء المغاربة ،فأحيانا كنا نجد لدى المؤرخ كنية لعالم في كتابه ونجهل مقصوده لتشابه الأسماء علينا ما صعب علينا مهمة البحث كثيرا ومنها أيضا إهتمام المؤرخين بتاريخ مكة المكرمة خلال فترة الدراسة أكثر من إهتمامهم بتاريخ المدينة المنورة .

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي:

الأوضاع العلمية في المدينة المنورة من خلال مؤسساتها العلمية القرن السادس والسابع هجري:

من المعروف أن ما يصدر عن الإنسان من ثقافة وفكرإنما هونتاج العصر الذي يعيش ويتأثر به وقد يكون إستجابة لما هو قائم من أوضاع ،فليس هدفنا هنا الإلى شرح تفاصيل الأوضاع السياسية في المدينة خلال حقبة الدراسة إنما التذكير فقط ببعض الحقائق عن وضعها السياسي الذي كان له علاقة مباشرة بالأوضاع العلمية إذ لا يمكن أن تكون الدراسات الفكرية والعلمية بمنأى عن ذلك فتشير بعض المصادر التاريخية أن المماليك كانوا جد حريصين من أجل السيطرة على بلاد الحرمين وإدارة شؤونهما،وهدفهم من ذلك هو الرغبة في تحقيق شرعية دينية تؤيد حكمهم وبسط نفوذهم على بلاد الإسلام،ولا سيما أن أصول المماليك غريبة عن الجزيرة العربية فهم أعاجم وليسوا من أصل عربي،فلم يجدوا وسيلة في تدعيم وجودهم السياسي وتحقيق ذلك الغرض واستمالة عاطفة المسلمين وكسب ودهم من خلال العناية بالحرمين الشريفين [1]،هذا ما جعل عامة الناس يغضون الطرف عن أصولهم العرقية ومدى أحقيتهم في تولي الحكم ،فتلقبوا بذلك بحماة الحرمين الشريفين "وهذا اللقب حامي الحرمين الشريفين أول من تلقب به هو السلطان المملوكي الظاهر بيبرس"[2]

كما يعد عصر المماليك وخصوصا نهاية القرن السابع هجري من أزهى العصور العلمية والثقافية ،بحيث تميز بكثرة العلماء الوافدين على الحرم الذين كانوا من خيرة ما أنجبت الأمة الإسلامية ،فأنتجوا لنا تراثا علميا مليئا بالمعرفة في مختلف أصناف العلوم وفنونها.

والواقع أن هذا النشاط لم يكن ليزدهر في العصر المملوكي لولا ما وجد من تشجيع وترحيب من بعض السلاطين للدولة المملوكية للعلم والعلماء ومما يدل على ذلك كثرة بناء

[1]-سعيد عبد الفتاح عاشور ،المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،ط1996،ص 153.

[2]-تقي الدين المقريزي ،السلوك لمعرفة الملوك،تح مُحَمَّد عبد الجبار عطا ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ،1418هـ/1997،ج1،ص725.

المدارس والكتاتيب والاربطة لتكون وجهة للعلماء والطلبة ينهلون منها العلم في شتى الميادين.[1]

حيث كانت المدينة المنورة خاصة في القرن السابع هجري تعج بدور العلم من مساجد ومدارس ومكتبات التي كانت تستقبل الزائرين والمجاورين وطلاب العلم وكان من أبرز هذه الدور التعليمية:

أ-المسجد النبوي الشريف:

يعتبر المسجد عموما أقدم المؤسسات العلمية في الإسلام،فهو قبل كل شئ مكان لإقامة الصلوات وفضاء لإقامة الخطب والمواعظ والإرشادات،ولكنه إلى جانب ذلك معهدا لتعليم القرآن الكريم وفهم آياته وأحكامه ومعانيه،فقد كان المسجد في صدر الإسلام يضم الحركة العلمية بين جنباته،لذلك إرتبط العلم به ارتباطا وثيقا لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بعلوم الدين.[2]

إضافة إلى ذلك نرى أن المتكلم عن الحياة العلمية في المدينة المنورة لا مناص له من الحديث عن المسجد النبوي الشريف فقد كان ولا يزال أعظم المساجد وأشرفها على الإطلاق،وأكثرها طلابا وعمارا حيث كانت تعقد فيه حلقات العلم في مختلف مجالات العلوم خاصة الشرعية منها،فيقبل عليها الرجال والنساء،الكبار والصغار،العالم والعامي،فيعد بذلك المركز العلمي الثاني في الإسلام بعد مكة المكرمة وجامعة يلتقي فيها الناس من مختلف الأقطار، وقد استمر إقبال العلماء والطلاب على المدينة المنورة بغرض الزيارة للحرم المدني أو المجاورة وطلب العلم ،فكتب التراجم مليئة بذكر كثير من رحلات العلماء الأعلام إليها وسنأتي إلى ذكرها في موضعها من الدراسة.

ومن مظاهر مساهمة سلاطين المماليك في خدمة المسجد النبوي الشريف والعمل على إصلاحه وتعميره والإهتمام بشؤونه -في حدود ما اطلعنا عليه من مصادر-مايلي:

---

[1]-عبد الفتاح عاشور ، المصدر السابق ،ص141.

[2]-احمد امين ،ضحى الاسلام ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر،ج2،ص52-54.

قيام السلطان سيف الدين قطز عام 656هـ بتجديد عمارة المسجد النبوي الشريف وإرسال ما يلزم من بنائين ونجارين ورخامين كما أرسل منبرا جديدا بدلا من المنبر الذي مسه حريق سنة 654هـ .[1]

إضافة إلى ذلك فقد قام السلطان سيف الدين قطز عام 658/657 هـ بإتمام أشغال البناء ناحية القبلة من باب السلام وباب الرحمة بالجهة الغربية[2]،وفي عهد الظاهر بيبرس عام 661هـ تم إكمال تسقيف المسجد كما أرسل هو أيضا بدوره منبر للمسجد عام 666هـ ووضع حول الحجرة الشريفة مقصورة من خشب وذلك عام 668هـ .[3]

أضف إلى ذلك ما قام به السلطان المنصور سيف الدين قلاوون عام 686هـ من إنجاز الميضأة ليتوضأ المصلون وكانت خارج المسجد عند باب السلام[4]،أما في عهد السلطان الناصر مُحَمَّد قلاوون وفي عام 701هـ زيد في توسعة الجزء المسقوف من المسجد،وأقر دروسا في الفقه على المذاهب الأربعة ودروسا في الحديث والإقراء.[5]

كل هذه الأعمال وغيرها توحي إلى مدى أهمية المسجد النبوي في سياسة سلاطين المماليك ومدى إسهاماتهم في إصلاح معالمه وعمارته من جديد في وقت كان المشرق الإسلامي غريقا في الصراعات السياسية وحروبه مع تتار.

وكان ممن تولى التدريس من العلماء المغاربة بالمسجد النبوي الشريف وحدث بالحديث وسمع منه الفضلاء وبرع في المذهب المالكي إبراهيم بن فرحون (ت799هـ)[6].

---

[1]-عبد الباسط عبد الرزاق ،المدينة المنورة في عهد الزنكيين والايوبيين والمماليك،دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ،ج1،ص198.

[2]-تقي الدين الفاسي ،العقد الثمين في معرفة تاريخ البلد الامين ،تح مُحَمَّد حامد الفقي،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 1993،ج3،ص202.

[3]-شمس الدين السخاوي ،التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،تح اعد الطرابزوني الحسيني ،ط1399هـ/1979م،ج1،ص223.

[4]-السخاوي ، المصدر السابق ،ص37.

[5]- السخاوي ، المصدر السابق ،ص443.

[6]- السخاوي ، المصدر السابق ،ص253، 262، 263.

ب –المدارس والأربطة:

ظهرت المدارس الوقفية في المدينة المنورة حسب ما أشار إليه النعيمي في كتابه الدارس لتاريخ المدارس في بدايات القرن السادس هجري حيث ذكر أن فخر الدين عثمان بن الزنجيلي كانت له رباط [1]بالمدينة المنورة في عام 577هـ.[2]

ومن خلال تقصينا للمصادر التاريخية لهذه الفترة لاحظنا أن سلاطين المماليك كانت لهم جهود مكثفة في إنشاء المدارس وتكثيرها إبتداء من عهد السلطان بيبرس فصاعدا من أجل محاربة المذهب الشيعي الذي خلفته الدولة الفاطمية وامتد الى العصر الأيوبي في الحرم المدني[3].

وكانت الأوقاف من أهم مداخيل المدارس في العصر المملوكي حيث ساهمت في تثبيت أركانها ودعمها من أجل القيام برسالتها المنشودة وهي تعليم العلم ونشره ومحاربة البدع والخرافات[4].

كما كانت توفر لطلبتها السكن والكساء والأغذية وأجرة شهرية يستعينون بها على قضاء حوائجهم الشخصية.[5]

وسنأتي فيما يلي إلى عرض للمدارس الوقفية بالمدينة حسب اسم المدرسة ومؤسسها :

بالنسبة للمدارس أردنا أن نخص بالذكر تلك المدارس التي أنشئت خلال فترة الدراسة وشارك علماؤنا المغاربة في تنشيط الحركة العلمية بها وحسب ما توصلنا إليه من خلال البحث في المصادر والمراجع المختصة في هذا المجال كان من بين هذه المدارس :

---

[1]–الرباط:هي دار يسكنها اهل طريق الله الصوفية (ينظر الخطط المقريزية ،المكتب الثقافية الدينية،القاهرة ،ط2، 1987، ج2،ص427.

[2]–عبد القادر بن مُحَمَّد النعيمي ،الدارس في تاريخ المدارس ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1، 1990، ج1،ص404.

[3]–عبد الفتاح عاشور ،المصدر السابق ، ص157.

[4]–عبد الفتاح عاشور المصدر السابق ص163.

[5]–عبد الفتاح عاشور ،المصدر السابق ،ص166.

المدرسة الشهابية:

قام بتأسيسها الملك المظفر شهاب الدين غازي الأيوبي،في مكان دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ،وبنيت لتدريس جميع المذاهب الاربعة ،كما حبس لها الأحباس الكثيرة في الشام ولها في مدينة وقف من نخيل[1].

ومن المغاربة الذين أقاموا بها الشيخ أبو عبد الله بن فرحون عميد أسرة آل فرحون [2]سنرى في الفصل القادم إسهاماته بها،كما نجد أيضا نور الدين بن فرحون وأخوه البدر اللذان كانا يدرسان بها بأمر من الملك الناصر بن قلاوون[3]،إضافة إلى هؤلاء العلماء وجدنا الشيخ الفقيه الصوفي يعقوب الشريف المغربي(ت 723)كان من الموسعين في ماله حيث أنه أوقف لها بالمدينة المنورة وقفا بخمس مائة دينار يصرف ربعه على المدرسة الشهابية[4].

المدرسة الشيرازية:

أما بالنسبة للمدرسة الشيرازية فقد تعذر علينا التعرف على مؤسسها وتحديد تاريخ عمارتها ولكنها كانت قائمة قبل سنة 680هـ،وتم إستدلالنا على هذا ما أورده السخاوي في التحفة اللطيفة نقلا عن إبن فرحون قائلا:"إبراهيم رومي الأصل،نزيل المدينة ،يعرف بالعريان،أصله من الروم،وقد قدم فأقام بها أزيد من خمسين سنة بالمدرسة الشيرازية"[5]

وإذا علمنا أن إبراهيم العريان المذكور سابقا توفي سنة 730 [6]وأنه بقي ساكنا في المدرسة الشيرازية حوالي خمسين سنة إلا أن توفي بها عرفنا أن بداية إقامته كانت حوالي 680هـ ومنه يتبين لنا أن وجود المدرسة الشيرازية كان قبل 680هـ،ويعد إبراهيم الرومي هذا من الشيوخ المعمرين بالمدرسة والمؤسس الثاني لها بحيث لولا إصلاحه لأساطينها و رفعه لسقفها

---

[1]-طارق بن عبد الله حجار ،تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة،الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة،العدد120سنة 1423،ج1،ص483.

[2]-حجار ،المرجع نفسه،ص484.

[3]-حجار المرجع نفسه،ص484.

[4]-احمد علي حسين،المدرسة الشهابية واثرها الحضاري في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي ،حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية،كلية الاداب ،جامعة القاهرة ،فيفري 2016،ص16.

[5]-السخاوي التحفة اللطيفة ،ج1،ص154.

[6]-السخاوي ،المصدر السابق ،ص154.

لسقطت طبقاتها،فاجتهد في عمارتها بنفسه وماله وأوقف عليها وقفا من النخيل بالمدينة المنورة.

أما فيما يخص أسماء من درس أو درس فيها من المغاربة فلم يتبن لنا فيما يتوفر لنا من مصادر غير أحمد سليمان الونشريسي الذي خلف إبراهيم العريان في مشيخته بالمدرسة وكان من أصحاب ابن فرحون[1] .

ومن المدارس المدينة نجد أيضا مدرسة الجوبانية التي بناها جوبان بن تداون سنة 724 هـ من الناحية القبلية من الحصن العتيق عند باب الرحمة.[2]

كما توجد العديد من المدارس في العهد المملوكي تطرقت لها كتب التراجم مثل المدرسة الجمالية، والمدرسة الخلجية، والمدرسة الزمامية، المدرسة العطيفية وغيرها من المدارس.

رباط دكالة:

نشير هنا إلى أن الرباط في أول الأمر كان يقوم بمهمة الدفاع عن الأراضي الإسلامية وملجأ للزهاد والمجاهدين،ويعتبر بالمصطلح الحديث ثكنة عسكرية لذلك حرص الكثير من المسلمين على بناء الأربطة في مختلف الثغور المتاخمة للعدو[3]،أما في المدينة ومكة فقد تغيرت وظيفة الأربطة بحيث أصبحت مسكنا للفقراء والمساكين والوافدين إلى بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج وطلبة العلم والمجاورين،وإن الأربطة التي ذكرتها المصادر بالمدينة المنورة كثيرة فالتي قمنا بإحصاءها يفوق عددها الثلاثين-حسب ما اطلعنا عليه من مصادر -ولا يسعنا ذكرها كلها في هذه الدراسة واكتفينا بذكر رباط دكالة الذي كان شاهدا على حركة التبادل العلمي والثقافي بين المغاربة والمشارقة خلال فترة الدراسة.

[1]-السخاوي ،المصدر نفسه ،ص155.

[2]-الفاسي ،العقد الثمين ،ج3،ص447.

[3]-حسين عبد العزيز ،الرباط في مكة منذ البدايات وحتى نهايات العصر المملوكي ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير بقسم الحضارة والنظم الاسلامية ،جامعة ام القرى،المملكة العربية السعودية ،1995،ص14.

حيث إشتهر رباط دكالة بالمدينة المنورة وسمي بعدة أسماء منها رباط المغاربة ودار عثمان بن عفان[1] ورباط النخلة،[2]إلا أن إسم رباط دكالة [3]يبدوا أنه جاء نسبة إلى بلد الجماعة الذين قاموا بتأسيسه حيث إن شخصين قارئين قدما من المغرب، وإشتريا بيتا في زقاق الطيار في حوش المغربي وسكنا فيه، وأحس أحدهما بدنو الموت إليه، فأوقفها على الآخر الذي أوقفها على جميع القراء من ساكنة رباط عثمان بن عفان[4].

ويقول إبن مرزوق في هذا الصدد:"يقال: إن جماعة من أهل دكالة المغرب وردوا المدينة اشتروا هذا الموضع بأموال من أعمال أيديهم، وبنوا فيه هذا الرباط، وهو من أكبر الربط، يشتمل على بيوت وغرف، ويسكنه المجاورون واغلبهم المغاربة الخيار الفضلاء.....كان إذا جن الليل في هذا الرباط، لا يسمع إلا كدوي النحل ذكرا وتلاوة.[5]

ولعل من الآثار الحميدة للعلماء المغاربة المجاورين بهذا الرباط نسخ الكتب وتصنيف المؤلفات وتحبيسها على طلبة العلم ومن ذلك ما أشار إليه المؤرخون في ترجمة الشيخ عبد

[1]–ورد بهذا الاسم في رحلة العياشي وذلك لانه حل محل الدار الصغرى لعثمان بن عفان ﷺ ومطلة على زقاق البقيع وسمي بزقاق البقيع لنفوذه الى البقيع وكان الزقاق في الجهة الشرقية من المسجد قريبا من باب جبريل الذي كان يعرف قديما بباب عثمان المقابلة لدار عثمان ﷺ كما سمي باب جبريل لان هاتى جبريل الى نبي الله مُحَمَّد ﷺ عند هذا الباب وامره ان يغزو بني قريضة بعد انصرافه من غزوة الخندق في الجهة الشرقية من الحرم النبوي (ينظر:مُحَمَّد الياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف ،فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر،المدينة المنورة ،ط1، 1999،ص91–ينظر السخاوي ،التحفة اللطيفة ،ج1،ص37.

[2]–احمد ياسين الخياري ،تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ،نادي المدينة المنورة الادبي ،ط1، 1410هـ/1990،ج1،ص172.

[3]–دكالة:اسم لمنطقة تاريخية تمتد بين أزمور شمالا ومدينة مراكش شرقا ومدينة أسفي جنوبا ، ومحيط الأطلسي غربا –أحمد بوشارب ، دكالة والاستعمار البرتغالي الي سنة اخلاء أسفي وأزمور ، دار الثقافة، 1984،ص 71.

[4]–سحر بنت عبد الرحمان مفتي ، أثر الوقف في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة،ط 1، 1424هـ/2003م،ص 118.

–[5]أبو عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق، المناقب المرزوقية،تح سلوى الزاهري،وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية المملكة المغربية ، ط1، 1429هـ/2008م،ص 221.

الواحد الجزولي نزيل رباط دكالة أنه كان " من العلماء الزهاد مكبا على نسخ العلم عالما بالحديث والقراءات له كتب كثيرة بخطه أوقفها كلها وفرقها قبل موته بقليل"[1]

ج-الكتاتيب:

عرفت الكتاتيب إنتشارا واسعا في العواصم والمدن الإسلامية عبر مختلف العصور،ففي العصر المملوكي نجد أن الكتاب في المدينة يمثل المرحلة الأولى التي تهيئ الصبي للانتقال إلى نظام الحلقة في المسجد النبوي أو إلى مؤسسات التعليم الأخرى كالرباط والمدارس .[2]ويبدو أنه أول ما ظهرت الكتاتيب كان في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ حين أمر ببناء المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان،[3]وما يؤكد لنا هذا الخبر ما ورد في الأثر أن الخليفة الراشد عمر ﷺ جعل في المدينة رجالا يفحصون المارة فمن وجدوه غير متعلم أخذوه إلى الكتاب.[4]

لهذا كانت الغاية من إنشاء هذا الكتاب هو تحفيظ الأطفال القرآن الكريم وتعليمهم الضروري من علوم الدين ومبادئ القراءة والكتابة والخط والتاريخ والحساب،ويشرف عليها شيخ عالم يسمى بالمؤدب أو المعلم،وعليه فقد كان للكتاب في القرون الوسطى مكانة عالية الشأن إذ يعد المرحلة الأولى لبداية تعليم أعلى فهو أشبه بالمدرسة الإبتدائية في عصرنا الحاضر.[5]

---

[1]-عبد الله ابن فرحون ،تاريخ المدينة المنورة المسمى بنصيحة المشاور وتعزية المجاور،تح مُحَمَّد علي شكري ،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان،ص590.

[2]-عبد الرحمان مديرس المديسرس ،المدينة في العصر المملوكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الدراسات الاسلامية ،ط 1، 1422هـ/2001م، ص 243.

[3]-مُحَمَّد عبد الحي الكتاني،نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ،تح عبد الله خالدي، شركة الارقم بن الارقم، بيروت لبنان ، ط2، ج2،ص 294.

[4]أبوالفضل بن عيسى التنوخي،معالم الايمان في معرفة أهل القيروان،دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، بيروت، ط2، 1426هـ،ج 1، ص120.

[5]-الكتاتيب عند المسلمين،islamweb.net.22/7.2008مؤرشف من الأصل في 27.09.2022.اطلع عليه ب14.05.2024.

أما عن مصدر نفقات الكتاتيب فكثيرا ما وقف الأثرياء المحسنون بعض أموالهم للإنفاق على الأساتذة والطلاب وما يحتاجونه من وسائل وأدوات ومرافق تعليمية ،[1]بل كان بعضهم يمد تلك الكتاتيب بجوائز ومكفآت مالية ،ومنهم يشترى للمتعلمين فاكهة ليأكلوها وطيب ليدهنوا بهم رؤوسهم وذاك إكراما لهم وتشجيعا على تعلم الدرس[2].

أما بالنسبة للمكاتب التي اشتهرت بالمدينة المنورة وكان للمغاربة نشاط بها نذكر منها:

مكتب الشيخ مُحَمَّد السبتي (ت720هـ)وقد زاد عدد طلابه عن مائة متعلم، حيث كان يقوم بتعليم أبناء العامة من الناس[3]،إضافة إلى ذلك مكتب الشيخ مُحَمَّد بن غصن أبي عبد الله الأنصاري القصري (ت723هـ)، الذي قدم من تونس وقام بتعليم الصبيان القرآن الكريم بالمسجد النبوي [4]،كما نجد أيضا عمر بن سالم بن بدر السراج الوارقلي المغربي(كان حي سنة 767ه)ذكر السخاوي أنه كان مؤدب صبيان بالمدينة[5].

ج-المكتبات:

تعتبر المدينة المنورة مركزا علميا هاما للحركة العلمية،فقد أنشئ بها العديد من الخزائن الكتب التي أوقفت من قبل الوجهاء والحكام والعلماء والصالحين،وجد بعضها خلال العص-ر المملوكي وبعضها يعود إلى العصور التي قبله،ولما كان للكتاب دور متميز في تنشيط الحياة العلمية والارتقاء بالفكر البشري ،أدرك الواقفون أهمية ذلك فاتجهوا إلى وقف العديد من المكتبات وملؤها بالكتب القيمة فقل ما يجد المرء بلدة إسلامية ليس فيها مكتبة وقفية خاصة أو عامة.

وقد شهدت المدينة المنورة خلال العصور الوسطى إنتشارا واسعا للمكتبات بشكل لا مثيل له كان من أشهرها:

---

[1]-ابو القاسم علي بن عساكر ،تاريخ مدينة دمشق ،تح محب الدين ابي سعيد عمر العمراوي ،دار الفكر للطباعة والنشر ،ج1، ص307-معالم الايمان ج1،ص227.

[2]-معالم الايمان ،ج2، ص85.

[3]-الياس زلماط ،خدمة المغاربة للمذهب المالكي من خلال المؤسسات التعليمية في بلاد الحجاز ،مجلة النوازل الفقهية والقانونية ،مجلد 7،العدد 2، سنة 2023، ص248.

[4]-الياس زلماط ،المرجع نفسه ،ص248.

[5]-السخاوي ، التحفة اللطيفة،ج3،ص330.

-مكتبة المسجد النبوي الشريف:

كانت خزائن الكتب في المسجد النبوي الشريف من أهم الخزائن في بلاد الحجاز لما كانت تحتويه من كنوز المعرفة بالرغم من ضياع الكثير منها بالحريق وغيره ، هذه الخزائن أو المكتبة يرجع تاريخها إلى فترة متقدمة على العصر المملوكي ، فيشير الرحالة ابن جبير الذي زارها عام 581 هـ إلى ضخامة هذه المكتبة فيقول أنه شاهد في المسجد النبوي الشريف خزانتين كبيرتين محتويتين على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك[1]). كذلك يشير الرحالة المغربي ابن رشيد الذي زار المدينة المنورة أثناء رحلة الحج التي قام بها سنة 648 هـ/ 1250م وهو العام الذي شهد قيام دولة سلاطين المماليك في مصر ، ويصرح أن خزانة الكتب في المسجد النبوي الشريف كانت حافلة بكثير من أنواع الكتب وبخاصة الكتب الدينية منها ، كما يشير إلى تعداد خزائن الكتب داخل الحرم النبوي الشريف وأنه تم تخصيص خزانة لوضع المصحف الشريف هذه الخزانة عند موضع سجود رسول الله ﷺ [2] ، ويقصد بذلك المحراب النبوي الشريف

قال عنها السخاوي:"الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها ،فما من طالب مقتبس وإلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها"[3]

والجدير بالذكر ان لمغاربة المجاورين كان لهم اثر بارز في تنشيط الحياة العلمية بمكتبة المسجد النبوي الشريف وذلك من خلال تأليفهم للكتب ونسخهم لها ووقفها بالمكتبة.

[1]-ابن جبير ابو الحسن مُحَمَّد بن احمد الكناني الاندلسي ،الرحلة ،نشر دار صادر ،بيروت ،1964،ص71.

[2]-ابن رشيد ابو عبد الله مُحَمَّد بن عامر الفهري السبتي ،ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة ،تح مُحَمَّد الحبيب ابن الخوجة ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1988،ص30-34.

[3]-السخاوي ، التحفة اللطيفة ،ج3،ص210،209.

لعل من أبرزهم نزيل الحرمين الشريفين أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد الأندلسي العلامة المفسر شرف الدين المعروف بابن الفضل المرسي السلمي الذي يحكى عنه "أنه كان لا يصطحب معه الكتب التي يشتريها بل يوقفها على مدارس المدينة التي اشتراها منها حينما يريد أن يسافر "[1].

مكتبة المدرسة الشهابية:

المدرسة الشهابية هي من المدارس الكبيرة بالمدينة المنورة درس فيها مجموعة من العلماء الكبار، وحظيت مكتبتها باهتمام ملحوظ من قبل المقيمين بالمدينة والقادمين إليها ، فوقفوا عليها كتبا كثيرة " [2]،في مختلف ألوان المعرفة والمصاحف،حيث أدرك المسلمون أهمية المكتبات بالنسبة للمدارس فعنوا بالكتاب والمكتبة عناية فائقة لذلك نجد أنه ما من مدرسة بالمدينة المنورة إلا وكان بها مكتبة خاصة بالكتب الثمينة وهذه المدارس كثيرة وشهيرة ، منها ما هو متصل بالحرم النبوي الشريف بين باب السلام وباب الرحمة ، ومنها ما هو حول المسجد ومنها ما هو بالقرب من باب جبريل أحد أبواب المسجد النبوي الشريف[3]،وكان الهدف من تزويد هذه المدارس " بخزائن الكتب " أي المكتبات التي يرجع إليها المدرسون والطلاب في البحث[4] ،ومن الذين وقفوا كتبهم على المدرسة الشهابية نجد:

أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغرناطي، المتوفى سنة 754هـ[5]،وصفي الدين بن مُحَمَّد الكازروني، المتوفى سنة 755 هـ ، الذي كانت له كتب جليلة في الفقه والأصول والحديث واللغة وغير ذلك، أوقف أكثرها بمكة المشرفة ، وأوقف بعضها بالمدرسة الشهابية.

---

[1]-مُحَمَّد علي العبد ،نوادر المخطوطات العربية في مكتبات المدينة المنورة ،مجلة العرب ،ج3،ط3، 1389هـ/1969م،ج9،ص 802-803.

[2]-يحي محمود ساعاتي،الوقف وبنية المكتبة العربية،ط 2،(1417هـ،1997م)،ص 86.

[3]-ابن دقماق : إبراهيم مُحَمَّد المصري (ت ٨٠٩هـ) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار،ط 1893م،ص97.

[4]- السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج2، ص64 ،ص 212

[5]- أبو عبد الله ابن فرحون،المصدر السابق،ص 93.

ولاشـــك في أن هـــذا يعتـــبر تطـــوراً كبـــيراً في تاريـــخ المكتبـــات ، لإتاحـــة الفرصـــة للانتفـــاع بمـــا فيهـــا من كتب على نطاق أوسع وحصرها على المشتغلين بالعلم وما أكثرهم في ذلك العصر.[1]

[1]- أبو عبد الله ابن فرحون،المصدر السابق،ص 100..

الفصل الأول

الفصل الأول: رحلات المغاربة إلى بلاد الحجاز ودورها في التواصل العلمي بين الغرب الإسلامي والمدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع هجري.

المبحث الأول: مفهوم الرحلة عند العرب وأنواعها.

أولا مفهوم الرحلة :

1. الرحلة لغة.

2. الرحلة اصطلاحا.

3.اهمية الرحلة

ثانيا: أنواع الرحلة عند العرب.

المبحث الثاني: أنواع الرحالات المغاربية الى المدينة المنورة ودوافعها.

1.أنواع الرحلات المغاربية الى المدينة المنورة.

1.1. الرحلة الدينية.

2.1. الرحلة الرسمية.

3.1. الرحلة التجارية.

2. دوافع الرحالات المغاربية إلى المدينة المنورة.

المبحث الثالث: مجاورة العلماء المغاربة للحرم المدني و حضورهم

العلمي على مستوى المراكز العلمية بالمدينة المنورة.

1. حضورهم العلمي على مستوى التدريس.

2. حضورهم العلمي على مستوى القضاء.

3.حضورهم على مستوى الامامة والافتاء

المبحث الأول: مفهوم الرحلة عند العرب وأنواعها.

1.أولا مفهوم الرحلة :

1.1.لغة:

إهتم أصحاب المعاجم العربية بلفظ الرحلة وفصلوا في تعريفهم لها فجاءت عند ابن منظور في لسان العرب الرحلة من "الترحيل والارحال بمعنى الاشخاص والإزعاج يقال رحل الرجل إذا سار و انتقل ويقال عن الناقة رحيلة أي شديدة وقوية ومن خلال هذا ربط العرب في لغتهم بين الدواب التي يرحلون عليها وبين مفهوم الرحلة بصورة عامة فأخذوا كلمة الرحلة من هذا المعنى...[1] قال تعالى: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُون"[2].

وفي القاموس العربي الوسيط"الرحيل مصدر لرحل (الإرتحال)"[3]، ويعني لفظ الرحلة السير والترحال والإنتقال بحيث يقول فيروز الأبادي في قاموس المحيط: "يقال مضى القوم من المكان، أي عبروا وإنتقلوا،و كلمة رحلة مصدر مشتق من فعل رحل ومنه الإرتحال يضم الوجه الذي نقصده وهو السفرية"[4]ـ، وكما قال عنها ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:"رحل:الراء والحاء و اللام أصل واحد يدل على المضي في السفر يقال:رَحَلَ،رَحَلْ،رِحلة،والرحلة أي الإرتحال"[5]

وجاءت في المحيط للبستاني "رحل عن البلد يرحل رحلا وترحالا أي شخص وسار رحل.."[6].

---

[1] إبن منظور -لسان العرب-دار صادر- بيروت لبنان -مج11-ط02-1414هـ-1994م -ص274.

[2] سورة يوسف ،الاية 82

[3] راتب أحمد قيعة الأسيل -قاموس العربي الوسيط-هيئة الأبحاث والترجمة -دار راتب الجامعية-بيروت-مج11ص332

[4] مجد الدين فيروز أبادي-قاموس المحيط-تح مُحَّد نعيم عرق سوسي-ط8-الرسالة-لبنان2005-ص1005.

[5] أبو حسن أحمد بن فارس بن زكريا-معجم مقاييس اللغة -تح-عبد السلام مُحَّد هارون-ج1-ط2-مادة رحل -دار الفكر-سوريا-1979ص497

[6] بطرس البستاني-محيط المحيط-مكتبة لبنان-بيروت-1987ص227.

وذكر لفظ الرحلة في أكثر من موضع بالقرآن الكريم :قال تعالى" قَالَ لِفِتْيَتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"[1] و قال تعالى: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"[2]

ومن خلال ما ذكر سابقا في معنى الرحلة في اللغة نجد أنها أطلقت على السير والإنتقال و الوجهة التي يراد السفر إليها أو دنو المكان المراد قصده وهذه كلها معان أطلقت على الشخص الذي قام بفعل الإنتقال من مكان إلي آخر، فالشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه وسار إلي آخر .

2.1. تعريف الرحلة اصطلاحا:

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الرحلة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى كل عرفها حسب اهتمامه العلمي ومنظور حقله المعرفي،فالأديب نظر اليها نظرة فنية وادبية وركز على ما تحمله من نصوص شعرية ونثرية والجغرافي لم يهتم في الرحلة الا بما له علاقة بالجانب الجغرافي اما الباحث في التاريخ فركز بما له صلة بالتاريخ وذلك من خلال ما تقدمه من اخبار عن البلدان وتراجم العلماء وسيرهم وعادات وتقاليد المجتمعات وحضارات الامم التي مر بها الرحالة ، فاختلفت بذلك وجهات نظرهم فيها وتعددت تعريفاتهم لها.

والرحلة عموما هي الانتقال الذي يقوم به الرحالة من مكان إلى آخر ولا يبتعد كثيرا مفهوم الرحلة اصطلاحا عن مفهومها لغة « إذ يشتركان في صفة لازمة بفعل الارتحال وهي الحركة»[3].

[1]- سورة يوسف ، الآية : 62

[2]- سورة قريش ، الآية:1-2

[3] سمير ساعد -الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري -دار الهدى-عين مليلة-الجزائر-2009-ص20

اهمية الرحلة:

جبل الانسان منذ أن الخلق على الحركة والانتقال فليس عجيبا ان تأخذ الرحلة مكانتها وتفرض وجودها في حياة الانسان قديما وحديثا،فيرى فؤاد قنديل بأنها "سلوك إنساني حضاري يأتي بثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها،وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها"[1].

وتتجلى لنا اهمية الرحلة من خلال ما قاله الشافعي رحمه الله في هذا الصدد[2]:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب

سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وانْصَبْ فإن لذيذ العيش في النَّصب

إني رأيت ركود الماء يفسده ... إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب.

ويقول ابن خلدون عن الرحلة "إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ مزيد كمال في التعلم و السبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من مذاهب وفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا مباشرة ..."[3].

ولما كانت للرحلة هذه المكانة العلمية فقد اهتم طلبة العلم منذ القديم بالرحلة فقطعوا المسافات البعيدة بحثا عن فائدة أو سماعا لحديث.وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على الرحلة في طلب العلم فمن ذلك حديث أبي هريرة، الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما؛ سهل الله له به طريقا إلى الجنة."[4] .

---

[1] فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي ،مكتبة الدار العربية للكتاب ،القاهرة ط02،2002ص21

[2] مُحَمَّد بن إدريس الشافعي،ديوان الشافعي،تح مُحَمَّد عبد المنعم الخفاجي،مكتبة الكليات الأزهرية ،الأزهر-القاهرة.ص78

[3] عبد الرحمان إبن خلدون ،كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ضب خليل شحادة،مر سهيل زكار،ج6،دار الفكر ،لبنان،1421،هـ-2000م ص509.

[4] صحيح مسلم،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرءان وعلى الذكر،دار شركة القدس للنشر والتوزيع،دار كنوز الرشيد الوادي2014، ص 986

وقال تعالى في محكم تنزيله : "وَمَا كَانَ الْمُومِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"[1] وقال أيضا"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"[2].

وعليه فإن ديننا الإسلام جعل طلب العلم من أعلى الدرجات ورفع أصحابه فلما كانت هذه الغاية والمقصد لم يعجز طلابها عن الرحلة إلي أقصى الأمصار من أجل تحقيقها حتى أصبحت الرحلة فيما بعد شرطا لازما للعالم عموما و لعالم الحديث خصوصا، ولا عجب إذا لقينا معظم الرحلات العلمية تتجه من الغرب الإسلامي إلي الشرق وذلك لوجود عدة أسباب ودوافع نأتي إليها في حينها.

2.أنواع الرحلات عند العرب:

أبدع العلماء المغاربة في كتابة رحلاتهم إلي بلاد الحجاز وصفا للأمم وأحولها وتقيدا لأعلامها، ما أنتج لنا أنواعا كثيرة من الرحلات حاول الدارسون تقسيمها وحصرها ولكن اختلفوا في تصنيفاتهم لها و الحقيقة إن تقسيم المهتمين بأدب الرحلة الرحلات إلى أقسام وأنواع تختلف باختلاف مسببات هذه الأخيرة وأهدافها, وإن اختلاف علماء أدب الرحلة والمهتمين به في تقسيم الرحلات شاسع وبين ويعود هذا إلي اختلاف مناهجهم في التصنيف .

فيرى الباحث أحمد رمضان إلى أن أنواع الرحلات تنقسم الى ثلاثة أصناف: "-رحالة جغرافيين-رحالة مشارقة-رحالة مغاربة"[3] والخلط ها هنا بين في المنهج إذ أنه قسم الرحالة لا الرحلة.

[1] سورة التوبة،الاية 122

[2] سورة المجادلة،الاية 11

[3] أحمد رمضان ،الرحلة والرحالة المسلمين ،دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط02،ص407-408

وقد جاء عن الباحث شوقي ضيف أنه صنف أنواع الرحلة إلي ثلاثة أصناف "رحلات جغرافية-رحلات بحرية-رحلات البلدان والأمم"[1] وحال هذا التصنيف كسابقه لأحمد رمضان إذا أنه صنفها على أساس الوجهة والمسار وأهمل الدوافع والمسببات.

ويرى الباحث مُحَمَّد الفاسي أن للرحلة خمسة عشر نوعا[2]:

الرحلة الحجازية. الرحلة الرسمية. الرحلة السياحية. الرحلة الدراسية

الرحلة الإستكشافية . الرحلة السياسية. الرحلة العلمية. الرحلة البلدانية

الرحلة الفهرسية. الرحلة السفارية. الرحلة المقامية. الرحلة الخيالية[3].

الرحلة الأثرية. الرحلة الزيارية. الرحلة العامة.

وهذا التصنيف خلله بين وغريب إذ أنه قا م بتجزئة المجزأ فما الفرق بين الرحلات الرسمية و السياسية و السفارية مثلا ؟،لهذا كان على صاحب التصنيف أن يكتفي بإدراجهم تحت صنف واحد وهو الرحلة الرسمية أو الإدارية.

ولعل أبرز هذه التصنيفات ما ذهب إليه صلاح الدين الشامي وهو الذي نميل إليه فقد حصر الرحلات في ستة أنواع: ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام "رحلة الحج-رحلة الحرب-رحلة السيارة" وثلاثة أخرى أضافها الإسلام هي "رحلة الحج «يجب الإشارة أن رحلة الحج قبل الإسلام تختلف عن التي بعده إذ أنها قبل الإسلام كانت تقتصر فقط على الجزيرة العربية»، وصنف الثاني رحلة طلب العلم وأخيرا رحلة التجوال والطواف بمعنى السياحية[4].

---

[1] شوقي ضيف،الرحلات،دار المعارف،ط04،ص11-27-48

[2] مُحَمَّد بن عثمان المكناسي ،مقدمة الإكسير في فكاك الأسير،تح مُحَمَّد الفاسي،لمركز الجامعي البحث العلمي،الرباط، المغرب،1965،ص159

[3] الرحلة الخيالية هي الانتقال المتخيّل الذي يقوم به الأديب عبر الحلم أو الخيال إلى عالم بعيد عن عالمه الواقعي

[4] صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية،منشاة المعارف،الإسكندرية،1989م،ص11

ومن خلال ما سبق ذكره فإن محصلة القول ومجمله أنه يمكن حصر أنواع الرحلات في ثلاثة أصناف: الرحلة الرسمية، الرحلة التجارية والرحلة الدينية أو الحجازية بنوعيها الرحلة التعبدية من أجل أداء مناسك الحج والعمرة والرحلة العلمية.

المبحث الثاني: أنواع الرحالات المغاربية إلى المدينة المنورة ودوافعها.

1. أنواع الرحلات:

شهد المسلمون خلال القرنين السادس والسابع هجري حركة علمية جد نشطة ومزدهرة خاصة في العصر الموحدي[1] الذي كان يعج بالعلماء والمفكرين، ولأنه كان لابد للمسلم أن يتعلم من القرآن وأحكام الدين ما يقيم به أمور دينه ويقف عند حدود الله أمرا ونهيا، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[2]، ويبدو من خلال المصادر والمراجع التاريخية أن الخلفاء الموحدين كانوا علماء فهذا المهدي بن تومرت قد هاجر الي المشرق وطلب العلم وحال الرعية من حال راعيها وحاكمها،فقد شجع المهدي بن تومرت ومن خلفه من الخلفاء الموحدين علماء دولتهم على المضي في طريقهم وطلب العلم عامة بشتى ميادينه والشرعي خاصة من منبعه الصافي مكة والمدينة[3].

1.1. الرحلة الدينية:

شكلت الرحلة المغاربية إلي بلاد الحجاز والمدينة المنورة خصوصا ظاهرة اجتماعية وعلمية مهمة ساهمت في إثراء الحركة العلمية هناك وتعزيز العلاقات الودية بين المشرق و المغرب،حيث شهد العالم الاسلامي خلال العصور الوسطى ازدهارا ونشاطا علميا

[1] الموحدون: قامت دولة الموحدين بالمغرب على يد مُحَمَّد بن تومرت 524هـ، وقد ورثَت هذه الدولةُ دولةَ المرابطين في المغرب والأندلس، واستطاع عبدالمؤمن بن علي أن يحقق أهداف زعيمه ابن تومرت؛ حيث أسقط دولة المرابطين واحتل عاصمتهم مراكش وأسس دولته سنة541 هـ.

[2] ابن ماجه ،سنن ابن ماجه،تح فيصل عيسى البابي الحلبي دار احياء الكتب العربية،ج1،ص 224

[3] عبد العزيز عبد الله تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث؛ بيروت؛ د.ت. دار لسان العرب ص21

وفكـــريا منقطـــع النظـــير، فـــبرز العديـــد مـــن العلمـــاء والمفكـــرين المســـلمين ومـــن بيـــنهم العلمـــاء المغاربة.

ومـــا لا شـــك فيـــه أن المقصـــد الأسمـــى مـــن الـــرحلات المغربيـــة إلي بـــلاد المشـــرق الإســـلامي هـــو أداء فريضـــة الحـــج اســـتجابة لقولـــه تعـــالى "وَلِلَّهِ عَلَـــى النَّـــاسِ حـــجُّ الْبَيْـــتِ مَـــنِ اسْـــتَطَاعَ إِلَيْـــهِ "[1]. فحـــرص المغاربـــة علـــى أداء الـــركن الخـــامس مـــن الإســـلام وتشـــوقهم إلي مدينـــة رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم لم يمـــنعهم مـــن الوصـــول إليهـــا لا بعـــد المســـافة ولا مشـــقة الطريـــق ومصـــاعبه ،قـــال تعـــالى: "وَأَذِّن فِي النَّـــاسِ بِالْحَـــجِّ يَأْتُـــوكَ رِجَـــالًا وَعَلَـــى كُـــلِّ ضَـــامِرٍ يَأْتِـــينَ مِـــن كُـــلِّ فَـــجٍّ عَمِيـــقٍ"[2]، فـــالحج كـــان ولا يـــزال رحلـــة يتشـــوق إلي أدائهـــا كافـــة النـــاس ولـــيس علمـــائهم فقـــط [3].

اضـــافة الى ذلـــك لم يكتـــف معظـــم الحجـــاج المغاربـــة بقضـــاء مناســـك الحـــج مـــرة واحـــدة بـــل بمجـــرد الرجـــوع إلي بلـــدهم ســـرعان مـــا يعـــودون مـــن جديـــد لشـــدة الشـــوق والتعلـــق بـــبلاد الحجـــاز فكـــان بعـــض المغاربـــة يطيـــل المقـــام هنـــاك فيســـتقر لفـــترة طويلـــة بالعـــدوتين مكـــة أو المدينـــة أو بهمـــا معـــا حـــتى يشـــبع رغبتـــه ويـــروي ظمـــأه[4] ،وكيفمـــا كـــان الحـــال تحتـــل رحلـــة الحـــج إلي البقـــاع المقدســـى المرتبـــة الأولى بـــين الـــرحلات،لأن هـــذه البقـــاع تتمتـــع بقدســـية في الإســـلام حيـــث فيهـــا دفـــن ســـيد الخلـــق مُحَمَّد صـــلى الله عليـــه و ســـلم وفيهـــا نـــزل عليـــه الـــوحي ومنهـــا إنتشـــر فعَـــنْ أَنَـــسٍ رَضِـــيَ اللهُ عَنْـــهُ، عَـــنِ النَّـــبِيِّ ﷺ قَـــالَ: «اللَّهُـــمَّ اجْعَـــلْ بِالْمَدِينَـــةِ ضِـــعْفَيْ مَـــا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ»[5].

كمـــا أن المجتمـــع المغـــربي كـــان يتمـــذهب بالمـــذهب المـــالكي مـــا جعـــل المغاربـــة يرتبطـــون روحيـــا بالمدينـــة المنـــورة فقهـــا وتشـــوقا ، عَـــنْ أَبِي هُرَيْـــرَةَ، قَـــالَ: قَـــالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ : «يُوشِـــكُ النَّـــاسُ

[1] سورة آل عمران ، الاية 97

[2] سورةالحج،الاية 27

[3] حسن فيهم أدب الرحلات،الكويت،د ت مجلس الأعلى للثقافة والقنون الأدبية،ص80

[4] علي إبراهيم ،أدب الرحلة في المغرب والأندلس،سوريا،الهيئة العامة للكتاب،2013،ص12-13

[5] مُحَمَّد بن سماعيل البخاري،صحيح البخاري،دار السلام للنشر والتوزيع،الرياض،السعودية،ج3 ،ص 23 .

أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الْإِبِلِ فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ»[1] وقد حمله العديدمن العلماء ومنهم سفيان الثوري أن عالم المدينة هو إمام المذهب مالك بن أنس لهذا كان أقصى أماني مسلمي المغرب أن تتاح لهم الفرصة للرحلة إلى مدينة العلم طيبة[2] وطلب شفاعة من تشرفت بهجرته إليها عليه أكمل الصلاه وأتم السلام، ويعد الحج ملتقى المواهب من الرحالين وهذا الذي حرك أقلامهم لوصف وسرد الكثير من الأخبار التي سمعوها في طريقهم ووصف مشاهداتهم بعد عودتهم لينتفع بها سائر المسلمين وتساعدهم على أداء مناسكهم ومن ثم زخرت كتابتهم وكتبهم بأحوال الناس ومعاشاتهم وأمورهم وأسس إقتصادياتهم وينابيع ثروتهم ورخائهم[3].

أما نوع الثاني الذي يندرج ضمن الرحلات الدينية التعبدية(الحجازية)فهي:

الرحلة الزيارة الصوفية:

من خلال تقصينا المصادر التاريخية لهذه الفترة وجدنا أن الرحلة الصوفية شكلت ظاهرة اجتماعية وعلمية تمثلت في زيارة العباد والزهاد والوعاظ والسياح فان كان الاسلام دخل الى المغرب من المشرق فان تأثير المغاربة في المشرق جاء عن طريق العلماء الصوفية فلقد كان لمغاربة العديد من المشاركات والمساهمات في مجال السياحة الدينية و التربية الروحية من خلال أشعارهم وتشويق الناس إلي بلاد الحرمين لاسيما الصوفية منهم.

[1] ابو عبد الله الحاكم،المستدرك على الصحيحين،دار الكتب العلمية بيروت ،ط1، 1411هـ/1990م، ج1،ص168.

[2] حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ . رضى الله عنه . أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ " هَذِهِ طَابَةُ، صحيح مسلم، ج4، 1785 .

[3] ابراهيم عبد الرحمان العدوي،إبن بطوطة في العلم الإسلامي،دت مصر 1965،ص8.

فيوجد العديد من العلماء الصوفية المغاربة الذين كان لهم باع في علم التزكية والتربية الروحية ودفعهم الوجد والحنين إلي زيارة المدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع هجري ومنهم من خلف طريقته بالمشرق وسار له أتباع لعل من ابرزهم :

أبو بكر الهواري (ت611هـ-1215م):

يعتبر الهواري أشهر المختصين في المزارات المتبرك بها وقد دون تنقلاته بعنوان «الإشارات إلي معرفة الزيارات»[1] وهو دليل لزيارة المقامات المشيدة في البلدان الإسلامية ولا يخلو كتابه من إفادات جغرافية وتاريخية عن الأقاليم التي مر بها.

محي الدين بن عربي(560هـ-638هـ):

هو مُحَّد بن علي بن أحمد بن عبد الله عربي الشيخ أبو بكر الطائي هو من أشهر رواد الصوفية بالمغرب الإسلامي صوفي المشرب معروف بالشيخ محي الدين بن عربي رحل إلي المشرق لأداء فريضة الحج واجاز الملك المظفرشهاب الدين الغازي بن الملك مُحَّد العادل الايوبي وقال في رحلته شعرا يمدح فيه بلاد الحرمين [2]:

أيا كعبة الأشهاد يا حرم الأنس...وزمزم الآمال زم على نفسي

سرى البيت نحو البيت يبغ وصاله...وطهر بالتحقيق ما دنس اللبس.

سمع أثناء رحلته من ابن بشكوال وأبي بكر بن صاف وزاهر بن رستم وله مصنفات كثيرة قيل قد تجاوزت الاربع مائة منها:-الفتوحات المكية،تفسير القرآن الكريم المسمى بالإجمال والتفصيل .مؤلفاته رحمه الله أكثر من أن تحصى توفي بدمشق[3].

أبو الحسن الشاذلي (593هـ/656هـ) :

[1] الحسن الشاهدي،أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ،ج01،دار عكاظ المغرب،1995،ص39.

[2] محي الدين إبن العربي-ديوان ابن العربي-شرح أحمد حسن-بيروت لبنان-ص31

[3] إسماعيل باشا البغدادي هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين-دار إحياء التراث العربي-مج 01-طبعة لبنان-1951ص91.

هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الشاذلي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ولد بقرية غمارة من مدينة سبتة المغربية [1]،عاش الشيخ أبو الحسن مثالا للعالم الصوفي الحق وصحب الشيخ عبد السلام بن مشيش في المغرب و الشيخ أبي الفتح الواسطي ببغداد و الشيخ نجم الدين الأصفهاني نزيل الحرم.[2] نزل بالإسكندرية بعدما ارتحل من بلاد المغرب سنة 642 هـ ، وخلف بالإسكندرية أتباع لطريقته وتلاميذ أبرزهم أبو العباس مرسي وابن عطاء الله السكندري صاحب كتاب الحكم، حج مرارا ومات قاصدا بيت الله الحرام في طريقه بصحراء عيذاب بمصر،له عدة مصنفات في التصوف منها[3]: كتاب السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل،رسالة في آداب التصوف،نزهة القلوب وبغية المطلوب،وكتاب التسلية والتصبر وأيضا كتاب القصد إلى الله تعالى.

الرحلة العلمية:

يأتي في الدرجة الثانية بعد الحج وزيارة الأماكن المقدسة طلب العلم ،فمن المعلوم أن الرحلة العلمية تقليد درج عليه المسلمين منذ صدر الإسلام فقد كان أهل البوادي وغيرهم من خارج المدينة يفدون على النبي ﷺ لسؤاله عما يجهلونه من أمور دينهم ودنياهم ومع استقرار المسلمين في البلاد المفتوحة واتساع رقعة الإسلام وانتشار المراكز العلمية في كل البقاع زاد الاهتمام برحلة طلب العلم وقد نوه ابن خلدون على أهمية الرحلة وفضلها حيث يقول«الرحلة لابد منها لطلب العلم»[4].

---

[1] حمد بوذينة -أبو الحسن الشاذلي -دار التركي -تونس-1989ص13

[2] مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي،الدر الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين ،المطبعة العصرية ،تونس،2000ص2.

[3] مُحَمَّد ابن مرزوق التلمساني ،المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن الشاذلي ،تح ماريا خيسوس 1981،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ،ص569.

[4] مقدمة إبن خلدون، ص 745.

وقد كان السلف من العلماء ل طالب العلم رشيدا إذا هو اقتصر على طلبه في بلده فقط، وهكذا فإن هذا التقليد العلمي قد سرى إلي المغاربة كغيرهم من طلبة العالم الإسلامي، حيث كانت فكرة ضرورة الأخذ عن شيخ والجلوس إليه لها أهمية كبرى في التعليم وأصبحت شرطا لازما للعالم إذا يعاب من لم يكن له شيخا أو قلت شيوخه ولم يكتف طالب العلم بقراءة مصنفات المشايخ وحدها بل حرص على أن يقرئها على شيخه أو يسمعها منهم حتى يكون قد تفقه في مادته وصحبه في علمه[1] وبعد أن أصبحت الرحلة في طلب العلم أمرا شائعا بين علماء وطلاب العلم في المغرب الإسلامي للأخذ عن المشايخ سندا عن سند مباشرة، فلا عجب إذ لقينا معظم الرحلات العلمية من المغرب إلي المشرق وذلك لأهمية المشرق الإسلامي وما يزخر به من علوم ومعارف[2].

وقد كان للموحدين في القرن السادس والسابع هجري الحظ الأوفر في نهل العلم من معينه الصافي المشرق وبذل الجهد من طرف الحكام و العلماء من أجل تنشيط هته الرحلات لتخرج من نطاقها الضيق الخاص بالحج إلي الرحلة لمباشرة طلب العلم و الوقوف عند الحواضر العلمية ولقاء مشايخها هذا ويتصل طلب العلم بطلب علو السند فعلماء المغرب كما أشرنا سابقا يعتبرون بلاد المشرق مصدر المعرفة الإسلامية.

ويتحقق الإسناد العالي بتوفر جملة من الشروط و الروايات المراد تحصيلها أبرزها خمسة "أولها القرب من رسول الله صلى الله عليه و سلم بإسناد نظيف غير ضعيف،وذلك من أجل أنواع العلو،الثاني القرب من أئمة الحديث وإن كثر العدد ذلك الإمام إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ،الثالث العلو بالنسبة إلي رواية الصحيحين أو أحدهما أو غيرهما من الكتب الصحاح المعروفة والمعتمدة، الرابع العلو المستفاد من

[1] أبو بكر أحمد الخطيب،الرحلة في طلب الحديث،تح نوردين بن عتر،1975،ط01،ص31

[2] جمال أحمد طه–مدينة فاس في العصر المرابطي والموحدي–دار الوفاء الأسكندرية 2001ص270.

تقدم وفاة الراوي الخامس العلو المستفاد من تقدم السماع أما نزول السند فهو عكس العلو وما من شرط من الشروط الخمس إلا وضده شرط من الشروط النزول[1].

ومن أبرز المرتحلين إلى المشرق لأداء فريضة الحج وطلب العلم وكان نتاج رحلتهم موروث ثقافي ومعرفي كبير نجد :

إبن جبير (540ه /614ه) :

هو أبو الحسن مُحَّد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن مُحَّد بن مروان بن عبد السلام الكناني وهو من المعاصرين أبي سعيد بن عبد المومن الموحدي[2] بدأ بن جبير رحلته الأولى سنة578ه بعد وفاة الأمير أبو سعيد حملت رحلته الاولى اسم "اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"وجاءت هذه التسمية في المخطوط الأول والوحيد للرحلة[3]،

مر بن جبير أثناء رحلته من المغرب إلي المشرق بالعديد من البلدان وشاهد الكثير من المشاهد و وصف وقيد كل ما شاهده من مدن ومساجد ومعالم وأطعمة ومرافق عامة ومن أسباب رحلته هذه حسب ما جاء في كتب التاريخ أنه شرب كؤوسا من الخمر مع صاحب غرناطة مكرها فندم على فعلته هذه وأضمر في نفسه أن يجعل كفارة شربه الخمر الحج إلي بيت الله الحرام أملا أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه[4].

أما رحلته الثانية فكان سببها سماعه باسترجاع صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة 583ه ما حمله على الهجرة إلي بيت المقدس فقوي عزمه على إعمال رحلته الثانية سنة 587ه[5]، أما الثالثة فلقد اختلف المؤرخون في شأن دوافعها فالبعض يرى أنه قد توفيت

---

[1] أبو عمر عثمان بن صلاح-مقدمة علوم الحديث-تح نوردين عتر-ط01ص168،167،164.

[2] إبن الخطيب لسان الدين الأندلسي ،الإحاطة في أخبار غرناطة، تح مُحَّد عبد الله عدنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة1974 ،ج02 ص، 230

[3] عمر أبو الفضل،رحلات بن جبير،وثائق تاريخية وجغرافية في اللغة والأدب،القاهرة ،26جويلة2012

[4] علي مفتاح راشد الهندي،أدب الرحلات ،رحلة بن جبير،جامعة الزاوية ليبيا،ص2

[5] شهاب الدين أحمد بن مُحَّد المقري التلمساني ،نفح الطيب من غصن الأندلس،تح إحسان عباس،دار صادر بيروت،ج02-ص335

زوجته وكان شديد الحب لها ودليل على ذلك أنه نظم ديوانا من الشعر على رثائها وأراد أن يروح عن نفسه فلم يجد غير الارتحال[1].

وعليه فإن رحلة ابن جبير تعتبر مصدرا تاريخيا هاما في تاريخ الرحلات الحجازية وكذلك تاريخ المدينة المنورة خاصة في العصر الدولة المملوكية، توفي ابن جبير 29 شعبان 614 هجري وقد تجاوز عمره 72 سنة بعد أن أمضى سنواته العشرة الأخيرة من حياته متنقلا بين مكة المكرمة والمدينة المنورة[2].

مُحَمَّد بن تومرت (473هـ /524هـ):[3]

اسمه الكامل مُحَمَّد ابن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر عطاء بن رباح بن حسين بن علي بن أبي طالب[4]، إختلف المؤرخون حول أصله فمنهم من يرى أنه عربي صرف ومنهم من يرى أنه بربري فحين هناك من جمع بين الرأيين بربري وعربي[5].

رحل إبن تومرت إلى المشرق سنة 501هـ[6] لطلب العلم وتأدية فريضة الحج[7] فقصد أكبر أكبر المراكز العلمية في المشرق وهذا الذي أثر على شخصيته وأفكاره وأرائه فدرس من

[1] مُحَمَّد عنتر مؤنس الجغرافيين والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية –عين الدراسات وبحوث العلوم الإنسانية والإجتماعية،القاهرة،ط الأولى،1995ص285

[2] حسن مُحَمَّد زكي،الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ،دار زايد العربي بيروت،ص18

[3] و قد انفرد ابن خلدون بتاريخ وفاته سنة 522هـ –ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج6،ص305.

[4] أبو عبد الله الزركشي،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تح مُحَمَّد ماضو،المكتبة العتيقة ،تونس1966ص3.

[5] عقيلة غناة–سقوط دولة الموحدين –دار الكتاب ليبيا–ط2–2009–ص36.

[6] عبد الواحد المراكشي–المعجب في تلخيص أخبار المغرب–تح مُحَمَّد سعيد العريان–دار الطبع الإستقامة القاهرة–ط1–1949–1949–ص179.

[7] مُحَمَّد علي الصلابي–دولة الموحدين–مكتبة حسن العصرية لبنان–ط01–2009–ص18

خلالها المذاهب والإتجاهات[1] فلم تكن رحلته عادية لطلب العلم والحج وإنما عمل بجد على نقل العلم الذي تلقاه على يد مشائخه بالمشرق إلي المغرب ورفع الجهل في الدين[2]

ومن خلال ترجمة شخصية ابن تومرت فإن رحلته إلي المشرق غيرت في شخصه وفكره الكثير ما ساعده على بناء دولة الموحدين على أسس صحيحة وشجع العلماء ورعيته أهل المغرب على طلب العلم والسير على طريقه .بعد عرض ترجمة لبعض الرحالة المغاربة خلال القرون الوسطى التي كانت مليئة بأسماء جديرة بالذكر لم نأتي عليها كلها لكثرتها لاحظنا من خلال ما سبق ذكره أن الرحلات العلمية كانت أكثرها لأخذ الأسانيد من روات مشارقة ثقاة وجمع الأحاديث النبوية الشريفة بأسانيد عالية الصحة.

ففي صحيح مسلم عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»[3] .فكانت هذه الرحلات الحجازية البداية الفعلية وخاصة في العصر الموحدي للإنتاج العلمي فاشتهر الكثير من الرحالة مثل ابن جبير والعبدري وابن بطوطة وغيرهم كثير دونوا رحلاتهم بطريقة منظمة اكتسبت مرجعية في التاريخ الإسلامي.

مُحَمَّد العبدري(643-720هـ):

هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن أحمد بن سعود يقال له العبدري نسبة إلي عبد الدار بن قصي بن كلاب العدناني وهو من أصول بلنسية أندلسية[4].ونفى بعض المؤرخين هذه نسبة عنه إذ يرى مُحَمَّد الفاسي أنه مغربي من أصول عدنانية.

ويعتبر العبدري من أبرز الرحالة المغاربة المسلمين في العصور الوسطى الذين زاروا المدينة المنورة وألف في رحلته إلى بلاد الحجاز كتابا أطلقت عليه عدة تسميات

---

[1]. ابو العباس احمد بن مُحَمَّد بن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب ،تح بشار عواد معروف ،دار الغرب الاسلامي ،تونس ط 1، 1423هـ/2013،ص435.

[2] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري،نهاية الإرب في فنون الأدب،تح عبد المجيد ترحيني،ج24،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان-ص159.

[3]-مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسباوري ،صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان ،ج1، ص 14.

[4] خير الدين بن محمود الزركلي،الأعلام،دار العلم بيروت ،ط15،20 2-ج7-ص32.

منها"الرحلة المغربية للعبدري، والرحلة العبدرية وسمي أيضا ب ملء العيبة فيما إجتمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة"[1].

وصف العبدري في كتابه هذا البلدان وصفا دقيقا لمبانيها وآثارها وكان يعرج على بعض تقاليد أهلها ولباسهم ومستواهم العلمي وعاداتهم وكان شديد النقد لما يراه غير طبيعي من سلوكيات وأخلاق الناس، وما يبرز أهمية رحلة العبدري في كونه قد ملأها بكلام كثير في الفقه والنحو واللغة والأدب[2]، وما يزيد من أهمية هذه الرحلة أنها تعد وثيقة مهمة من الحياة العلمية في أواخر القرن السابع هجري في البلدان التي مر بها والتقى بعلمائها و مشائخها[3]، ومن الأسباب التي حملت العبدري إلي القيام برحلته هذه هي رغبته في زيارة الأماكن المقدسة وقيام بفريضة الحج إضافة إلى حرصه على لقاء المشائخ و العلماء والأخذ عنهم.

2.1الرحلة الرسمية (الإدارية):

شهد التاريخ الاسلامي خلال القرون الوسطى عدة تحولات سياسية حساسة مست مغربه ومشرقه على حد سواء وذلك من خلال سقوط دول وقيام أخرى وتغير معالم الحدود السياسية للبلدان الجديدة على حساب القديمة ،كما برزت عدة مخاطر هددت الوجود الإسلامي في الكثير من الأقاليم تمثلت في حركة المغول التي توسعت على حساب الأراضي الإسلامية[4] في المشرق ونشاط الحركة الصليبية والسياسة الانتقامية من

[1] عبد الكريم السمعاني،الأنساب،تح عبد الرحمان بن يحى اليماني ،دائرة المعارف العثمانية آباد الهند،ط الأولى،1382ه،ج9ص183

[2] مُحَمَّد بن مُحَمَّد العبدري،رحلة العبدري،تح إبراهيم الكردي،دار سعد الدين للطباعة والنشر،دمشق سوريا،ط2005،2 ص 525 ،526

[3] العبدري،المصدر السابق ،ص16،17،18.

[4] عزالدين أبي الحسن ابن الأثير،الكامل في التاريخ،تح أبو صهيب الكرمي ،دار الكتاب العربي بيروت،ط02-1967- ج09ص283.

المسلمين على حساب بلاد الشام وفلسطين ومصر شرقا وتساقط المدن والإمارات الأندلسية واضطهاد أهلها غربا[1].

ولقد كثرت رحلات الساسة والدبلوماسيين التي يبعثها الحكام من أجل تبادل وجهات النظر وتوثيق العلاقات أو تمهيدا لعقد إتفاقيات فقد أرسل السلطان يوسف بن يعقوب المريني مع سفيره إلى السلطان ناصر بن مُحَّد بن قلاوون سنة 704ه هدايا من الخيل والإبل والأواني المغربية والذهب[2] .

من أجل تمتين وتقوية الروابط بين بين الدولة المرينية و الدولة المملوكية وإظهار الود نحوهم وكسبهم بالسفارات و الهداية[3]. وبالتالي فقد كانت الرحلة السياسية تحتل جزءا مهما من الرحلات المغربية ذلك أن الظروف السياسية كانت نمارس تأثيرها في العامة والخاصة ومنهم العلماء وبحكم أن العلماء كانوا يشكلون نخبة المجتمع فقد كان يتم إستخدامهم لأغراض تقتضيها الحياة السياسية أو الروابط الدبلوماسية بين الدول[4].

وفي هذا السياق نذكر رحلة الإكسير في فكاك الأسير لمحمد بن عثمان المكناسي وهو كتاب يروي قصة سفر الدبلوماسي مُحَّد بن عثمان المكناسي ويصف مؤلفه ما شاهده وسمعه وعايشه من أحداث ومواقف ومعلومات عن البلدان و الشعوب والعادات والتقاليد التي مر بها في رحلته و يعتبر كتابه مصدرا تاريخيا وجغرافيا هاما لفهم العلاقات الدبلوماسية بين الشرق والغرب[5].

ومما لا شك فيه أن العلاقات السياسية كان لها أثر على العلاقات العلمية وذلك من خلال التأليف والتدوين إذ يمكن لبعض المؤرخين والعلماء أن ينحازوا لطرف على

---

[1] النويري ،نفس المرجع السابق،ص486.

[2] علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب،طبعة دار المنصور بالرباط1972-ص387.

[3] المقري التلمساني ،المصدر السابق،ص387،342.

[4] مصطفي الغاشي،الرحلة المغاربية والشرق العثماني،ط201،01،ص1

[5] ناجي الامين-رحلات العلماء المغربين وآثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن هجري-دار الكلمة لنشر والتوزيع-ط01-2016-ص 1

حساب آخر وفق ما تقتضيه مصالحهم الشخصية ولكن الملاحظ أنه لم يكن هناك إرتباط كلي بين العلاقتين تنقطع هذه الأخيرة بإنقطاع الأولى أي بمعنى لم تتأثر الصلات العلمية سلبا بتوتر العلاقات السياسية كعصر الموحدين[1] الذي إنفصل عن السلطة المركزية بالمشرق مثلا.

ومرد ذلك إلى عدة عوامل أهمها رابطة الدين الإسلامي وقدسية الحرمين الشريفين ومما يدل على ذلك رسالة بن تاشفين يوسف إلي الملك الناصر قائلا «...ومن أعظم ذلك إذنكم لنا في أداء فريضة الحج المبرور وزيارة سيد البشر الشفيع في المحشر... وعلم الله أنه لم تزل آمالنا متعلقة بتلكم المشاعر الكريمة وقلوبنا متشوقة إلى تلكم المشاهد العظيمة»[2].

اضافة لما تقدم ذكره نستنتج ان السفارات والهدايا والرسائل من شأنها أن تخفض من حدة التوتر في العلاقات السياسية وتسجل لنا وثائق تاريخية تعكس لنا مدى العلاقات بين الدول وتفسح المجال القطرين الشرقي والغربي كي يربطا بينهما علاقات أخرى خاصة في المجال العلمي والثقافي.

3.1. الرحلة التجارية:

تعد التجارة إحدى فروع الأعمال وطرق الكسب التي يتم من خلالها بيع وشراء السلع،حيث ساهمت التجارة مساهمة فعالة في إتساع مراكز التنقل والترحال فإزدهرت بذلك الحركة العلمية وتعددت مراكزها في أرجاء المعمورة ،فإلى جانب الرحلات العلمية كانت هناك رحلات تجارية لطلب الرزق وتأمين سبل الحياة قال تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"[3] ،فبلاد الحجاز مكة والمدينة كانت منطقة التقاء الطرق التجارية بين العالم الإسلامي[4].

---

[1] ابتسام مرعى خلف الله –ص368

[2] ابي العباس احمد القلقشندي ، صبح الاعشى،دار الكتب المصرية،القاهرة،ج8،ص86.

[3] سورة الملك ،الاية 15

[4] نوال عبد الرحمان شوابكة،أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن9ه،ط01،دار المأمون ،عمان –ص4

لهذا أصبح من المعلوم بالضرورة معرفة الطرق التجارية ومراحلها وتحديد مسافاتها ووصف البلدان ومجتمعاتها ومن هنا ظهرت كتب المسالك والممالك[1] وكانت مثل هاته الرحلات تهتم بالظروف الإقتصادية للمجتمعات ومحاصيلها الزراعية ونشاطاتها التجارية[2]، فالتجار المغاربة الذين سافروا عبر البلدان وقطعوا المسافات البعيدة وجابوا الأقطار والأمم نقلا لبضاعة أو بحثا عن مصدر رزق وخاصة في موسم الحج حيث كانت تعتبر التجارة ضرورة من الضروريات الحاج لكي يحصل مورد مال لتغطية نفقة رحلته[3] وقد تكون هناك دوافع أخرى الرحلة التجارية كالهروب من الغلاء أوالبحث عن سلع التي لا يمتلكها وطنهم أو بحثا عن عمل يلبي متطلبات حياتهم[4]، وعليه فقد ساهمت حركة التجارة في إنتعاش الحياة العلمية وتعددت مراكز العلم بالمشرق[5] وهذا من خلال الرحالة الذين كانوا يجوبون الأمصار ويعودون إلينا بالروايات والحكايات[6] سردا لأخبار رحلاتهم.ومن الملاحظ أن الحركة التجارية خلال القرنين السادس والسابع هجري في بلاد المغرب الإسلامي قد شهدت نشاطا واضح المعالم لم تشهد البلاد قبله مثيل وكانت سبل التجارة بين الجانبين في المسلك المار بين كل من مدينتي تونس والإسكندرية المدينتين اللتان كانتا تعد أهم مركزين تجاريين إرتكزت عليهما التجارة المغربية المشرقية[7].

وبالإضافة الى ذلك فان التجاركانوا يجوبون أنحاء البلاد بقوافلهم غادية رائحة وأسواق التجارة نشطة و التبادل قائم[8] وهذا نظرا لتأمين الطرقات من طرف الحكام المسلمين والإستقرار السائد في بلاد الإسلام.

---

[1] مُحَمَّد محمود مُحَمَّدين،الجغرافيية والجغرافيون بين الزمان والمكان،دار الخريجي،ط2،ص178،177.

[2] حمزة مريقي،الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين 3 و4ه،دراسات تاريخية والأثرية،العدد 2-201،ص74.

[3] نوال عبد الرحمان،المرجع السابق ،ص47.

[4] عبد الستار درويش،المحاضرة9،دراسات أولية ،قسم تاريخ،كلية الأدب،جامعة الانبار ص02

[5] مصطفى غرايبة،الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي،كلية علجون،مملكة الاردنية الهاشمية-ص09

[6] ابتسام المرعى خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والشرق الإسلامي،دار المعارف الإسكندرية-1405ه-ص367.

[7] مُحَمَّد بن عمر الطمار-تلمسان عبر العصور-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1984-ص94

[8] مُحَمَّد بن علي أبي القاسم ابن حوقل- سورة الأرض-ج02-مكتبة الحياة للطباعة والنشر-1938-ص97.

ومن أهم السلع التي كانت تصدر من المغرب إلي المشرق نجد الألبسة الصوفية الرفيعة والصوف والحرير و الحديد والرصاص والعبيد العبيد المجلوبون من أرض الصقالبة ومن أرض السودان[1] ، إضافة إلي ذلك كانت تصدر الخيول العربية والبربرية والجلود المدبوغة والمصبوغة مثل القشور البجائية وكذلك القمح والشعير والتين المجفف والعنبر وغيرها من المواد الكثيرة التي كانت تصدر نحو المشرق[2] .

وختاما لهذا العنصر فانه يتبين لنا من خلال ماذكرناه سابقا عن الرحلة التجارية أن التجار المغاربة خلال العصور كانوا من أداوات تنشيط للحركة العلمية وهمزة وصل لتقوية روابط التواصل بين القطرين الإسلامين الشرقي والغربي.

2.دوافع الرحلة المغربية الى المدينة المنورة:

اختلفت دوافع الرحلة المغربية إلى المدينة المنورة خلال القرون الوسطى من شخص إلى آخر،شملت عدة ميادين سياسية وإقتصادية ودينية وذلك حسب إختلاف أنواع الرحلات وأهدافها ولعل من أبرز هذه الدوافع مايلي:

1 . إهتمام السلاطين والولاة بالعلم والعلماء وذلك من خلال بناء دور العلم ومرافق لإقامة الطلبة والعلماء الغرباء وإكرامهم[3].

2. الرخاء الاقتصادي الذي كانت تنعم به المدينة المنورة خلال العصر المملوكي أثر بشكل مباشر على توجه الرحلات العلمية إلى الحرمين الشريفين والمجاورة بهما.

[1] مبحوث البداوية-العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي-رسالة دكتوراه -قسم تاريخ -جامعة تلمسان -2005-ص49

[2] مبحوث البداوية-العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي-رسالة دكتوراه -قسم تاريخ -جامعة تلمسان -2005-ص49

[3] أبو الحسن مُحَّد ابن الجبير،رحلة ابن الجبير،المؤسسة الوطنية الفنون المطبعية،الجزائر،1987،ص 358-359

3. التنافس بين الحواضر العلمية على بناء المدارس و المؤسسات العلمية وتحبيس الأوقاف لها كان له دور مهم في توفير الظروف المناسبة خاصة للعلماء المجاورين وطلبة العلم.

4. تحفيز السلاطين العلماء على البحث والتصنيف من خلال الرعاية المادية والمعنوية شجع الرحالة المغاربة أكثر التوجه إلى المدينة المنورة للأخذ عن علمائها و استجازة منهم والتعرف أكثر على مناهجهم وعلومهم[1].

5. المقاصد الدينية وما تدعو إليه من الرحلة إلى بيت الله الحرام والمسجد النبوي فقد جاء في السنة عَنْ أ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى"[2]

6. إكتشاف البلدان والتعرف على شعوبها وثقافاتهم وأهم عاداتهم وتقاليدهم و القيام بالتبادل الثقافي بين المجتمعات[3].

7. تعرض بعض كبار علماء المغرب والأندلس[4] إلى مضايقات شديدة في الغرب الإسلامي وبالمقابل توفر المناخ الديني والعلمي للمجاورة بحرم رسول الله المدينة المنورة[5].

8. طلب العلم عن طريق الرواية المباشرة من الشيوخ وأخذ الإجازة عنهم بدلا من أخذها عن طريق الكتب والمصنفات.

9. إتساع دائرة التأليف في المدينة ووجود بها المشايخ الأثبات.

---

[1] إبن خلدون،المصدر السابق ، ص 778.

[2] صحيح مسلم المصدر السابق ،ج2،ص 1014

[3] سعد الله أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج02،الشركة الوطنية لتوزيع،1981،ص41-42.

[4] مثل حالة عبد الرحمان إبن خلدون ومُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ولسان الدين إبن الخطيب،التعريف بابن خلدون ص56

[5] لسان الدين الخطيب الأندلسي ،كناسة الدكان بعد إنتقال السكان،تح كمال شبانة،د الثقافة القاهرة،2003-ص157ص162.

10. المكانة الدينية والإجتماعية التي كان يحظى ويتحلى بها العلماء المغاربة المجاورين في المدينة المنورة حيث كان الإمام مالك في القرن الثاني الهجري يولي عناية خاصة بالطلبة المغاربة وخصص لهم دور إقامة خاصة بهم[1] ،وصار هذا العرف ساريا بعد فلا يزال طلبة العلم المغاربة يتمتعون بالإهتمام الخاص من أهل المدينة.

12. التقلد العلماء المغاربة مناصب راقية ومهمة كالإمامة والقضاء والإفتاء.

13. المكانة الروحية للحرمين في قلوب المغاربة ووجود الديار المقدسة في المشرق[2] أهم أسباب الرحلة من الغرب إلى الشرق.

14. وجود مركز الخلافة الإسلامية في المشرق[3] ساهم في مجاورة العلماء بالقرب من مركز الخلافة ما جعل المشرق مقصدا للعلم من كل البقاع الإسلامية

15. إحتواء المدينة المنورة والمدن المشرقية على مدارس ومكتبات تضم كتب قيمة ومؤلفات علمية نفيسة[4].

ضف إلى ذلك الصراعات السياسية بالغرب الإسلامي و الحروب الأهلية بين مختلف الكيانات في المغرب بإختلاف إيديولوجياتهم بالإضافة إلى الأزمات الإقتصادية والاوبئة والمجاعات التي عاشها مجتمع الغرب الاسلامي كل هته العوامل ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في الهجرة المغاربية الى المشرق.

[1] عبد الله بن مريم،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،تح محمد بن أبي شنب،نشر عبد الرحمان طااب-ديوان المطبوعة الجزائر-1986-ص207،201.

[2] مقدمة إبن خلدون ص 412 ص421

[3] علي إبراهيم الكردي ادب الرحلة في المغرب والاندلس،مكتبة الأسد،دمشق،2013،ص13

[4] محمد بن عثمان المكناسي ،الإكسير في فكاك الأسير،تح محمد الفاسي ،المركز الجامع للبحث العلمي ،المغرب ص259.

المبحث الثالث: مجاورة العلماء المغاربة للحرم المدني و حضورهم العلمي على مستوى المراكز العلمية بالمدينة المنورة.

كانت بلاد الحرمين قبلة العلماء والفقهاء الوافدين على بلاد الحجاز من أقطار العالم الإسلامي والراغبين في المقام والمجاورة بالعدوتين الشريفتين،ونقصد بالجوار هنا هو البقاء في مكة المكرمة او المدينة المنورة حيث يباشر المجاور حياته اليومية بشكل عادي وينتهي الجوار بخروج المجاور من هاتين المدينتين او الوفاة.

وفي هذا الصدد سنحاول القاء نظرة على المغاربة الوافدين على بلاد الحجازوالراغبين في مقام المجاورة بالعدوتين الشريفتين ونشير هنا الى ان غالب المغاربة الذين ارتحلوا للحجاز وجاوروا بأحد الحرمين كانوا من العلماء الذين حملهم الشوق والحنين [1]:

دار الحبيب أحق أن تهواها ...وتحن من طرب إلى ذكراها

وعلى الجفون متى همت بزورة...يا ابن الكرام عليك أن تغشاها.

فقد حمل الحب للمقام في حرم الله وحرم رسوله ﷺ علماء المغرب على الإنتقال إلي المشرق وهدفهم الأسمى وهمهم الوحيد هو تحصيل العلم الشرعي من منبعه ومعينه الصافي ونشره وتعليمه قربة إلى الله تعالى وطلبا لأجره عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2] ولم يكن لهؤلاء المهاجرين إلي الله ورسوله شغل بالدنيا وجمع المال وطلب المناصب والجاه بل كان مقصدهم الانتفاع بالعلم الوافر الذي تزخر به المدينة المنورة التي كان أهلها أهل حديث وفقه فهي مدينة العلم و المركز الثاني بعد مكة المكرمة وفيها الجو الملائم لطلب العلم ونشره[3].

[1] ابن فرحون، تاريخ المدينة ،ص590

[2] صحيح البخاري ،المصدر السابق،ص5027.

[3] ابن فرحون،تاريخ المدينة ،ص71

وقد برز العلماء المغاربة[1] في خدمة الحديث ونشر الفقه الإسلامي خاصة المالكي منه فقد اعتنى الكثير منهم بخدمة المذهب المالكي ونشر أصوله رواية ودراية حيث بذل الكثير من العلماء المجاورين بالمدينة النفس والنفيس في سبيل نشر علوم الدين وبرزوا في ذلك حيث تركوا الكثير من المؤلفات دلت على جهودهم العلمية هذا و قد نقلت لنا كتب التاريخ والتراجم الكثير من سير العلماء المغاربة المجاورين الذين برعوا في العلوم العقلية و النقلية وغيرها من العلوم الأخرى.

لم يقتصر دور العلماء المجاورون على تحصيل العلم وتدريسه فحسب، بل تولوا الكثير من الوظائف فكان منهم من يتداولون على مقام الإمامة في الحرم النبوي الشريف ومنهم من تولى منصب القضاء ومنهم من شغل منهم وظيفة المدرس والمؤدب بالمدارس والأربطة المدنية ولم يكونوا معزولين عن النشاط الاجتماعي في الحرم المدني وحياة العامة من الناس بل عاشوا مع أهل المدينة المنورة أفراحهم وقاسموهم همومهم وكان لهم دور كبير ووجاهة في المجتمع المدني فإن ابن فرحون المالكي يذكر في كتابه تاريخ المدينة أن الشيخ عز الدين بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني كان صائم النهار وقائم الليل وكان يتفقد الفقراء ويعالج المرضى ويزورهم في بيوتهم ويصنع لهم الطعام وكل ما يشتهون[2].

وباعتبار المسجد النبوي من أعظم المراكز العلمية اجتمعت له القدسية الدينية والعلمية جعلت العديد من المسلمين يشدون الرحال إليه رغبة في العيش وسط ذلك المناخ العلمي والأدبي، فالمسجد قبل كل شيء هو مكان للعبادة وهو إلي جانب ذلك معهد لتعليم القرآن و دراسة الحديث فهو بمثابة مقدر للتدريس وجامعة مفتوحة لطلب

[1] المجاورون:هم من أكبر شرائح مجتمع المدينة المنورة وتسمية المجاورين مأخوذة من الجوار والمجاورة،[1]وتعني البقاء في مكة والمدينة بجوار الحرمين الشريفين لفترة غير محدودة تنتهي بخروجه من إحدى هاتين العدوتين أو الوفاة-عبد الرحمن مديرس ،المدينة المنورة في العصر المملوكي (648هـ-963هـ)مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،الرياض-ط الأولى -1422هـ،ص 134

[2] عبد الله ابن فرحون،مصدر السابق ،ص71

العلم[1] وقد حفظت لنا كتب التراجم العديد من النخب العلمية وأسماء العلماء المجاورين الذين درسوا ودرسوا بها وكان لأغلبهم حلقات علمية معروفة.

1 . الحضور العلمي للعلماء المجاورين على مستوى التدريس:

كان من أهم نتائج المجاورة بالحرم النبوي الشريف في القرن السادس والسابع هجري إنتشار مجالس إسماع الحديث وتلقين أصول الفقه وإقراء فنون الأدب والعلم،فقد حرص كثير من العلماء المسلمين على المجاورة بالحرمين الشريفين لتوفر الجو العلمي الملائم بهما حيث كانت روضة المسجد النبوي الشريف وسواريه مقرا للقراء والفقهاء والمحدثين ومقصدا لطلبة العلم الشريف.

تميزت الحياة العلمية في المدينة المنورة بنشاط ملحوظ وهذا من خلال تشجيع السلاطين للعلماء على طلب العلم و ونشره ،وتأسيس مراكز علمية كالمدرسة الشهابية ويذكر الطرطوشي في تاريخها(ت 520هـ) جانبا مهما من اهتمام السلاطين بالحياة العلمية في قوله"فبنيت دور العلم للفقهاء وأسست الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح و الفقراء وأجري لهم الجريات والكسى والنفقات وأجري الخبز و الورق لمن كان من أهل العلم مضافا إلى أرزاقهم "[2].

ويدخل هذا التوجه ضمن السياسة الداخلية للدولة المملوكية وفي هذا السياق أطلعنا ابن الجبير عن ملامح الوضع السائد في بلاد المشرق يومئذ حيث قال"...ومرافق العلم بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء لاسيما لحفاظ كتاب الله عز وجل والمنتمين لطلب العلم....فمن شاء الفلاح فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة أولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها فإذا كانت

[1] إلياس زلماط ، المرجع السابق ،ص244.

[2] مُحَمَّد بن الوليد الفهري الطرطوشي ،سراج الملوك،مصر ،ج1-ص 128.

الهمـــة فقـــد وجـــدت الســـبيل إلى الإجتهـــاد، ولا عـــذر لمقصـــر إلا مـــن يـــدين بالعجـــز والتسويف"[1].

لمـا كانـت عـادة الحكـام والـوزراء وعلمـاء الحجـاز حـب العلـم والعمـل علـى نشـره فقـد تشـجع الكثـير مـن المغاربـة علـى المجـاورة بالحـرمين الشـريفين حيـث سـجلت لنـا الكثـير مـن المصـادر تـراجم العلمـاء المغاربـة المجـاورين وسـجلوا لهـم حضـورا علميـا كبـيرا في تنشـيط الحيـاة العلميـة بالمدينـة المنـورة خاصـة في مجـال التـدريس بحيـث أثبتـوا وجـودهم في المـدارس والأربطـة المتواجـدة بمكـة والمدينـة و درسـوا العلـوم بمختلـف أنواعهـا ولكـن كـان التركيـز علـى تـدريس علـوم الـدين مـن علـم الحـديث والفقـه والأصـول والتفسـير والقـراءات أكثـر منـه علـى علـوم اللغـة والعلـوم العقليـة الأخـرى، فكـان العـالم إذا جـاور يلتـف حولـه العلمـاء والمحـدثون وطلبـة العلـم بغيـة السـماع أو أخـذ الإجـازة ولعـل مـن أبـرز العلمـاء المغاربـة المجـاورين الـذين قـاموا بالتدريس في المدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع هجري نذكر منهم:

مُحَمَّد بن فرحون بن مُحَمَّد بن فرحون أبي عبد الله اليعمري الأبدي(ت721هـ):

ولـد ونشـأ بتـونس وكـان عميـد أسـرة ءال فرحـون[2] ومؤسسـها وشـيخها انتقـل إلى المدينـة المنـورة قبـل عـام 692هـ وهـو العـام الـذي تـزوج فيـه إحـدى شـريفات آل البيـت إسمهـا صـالحة[3] بفضـل هـذه المصـاهرة ألحقـت ذريتـه وأبنـاء أسـرته العلميـة بالنسـب النبـوي الطـاهر، كـان الشـيخ أبـو عبـد الله عالمـا بارعـا في الفقـه والأصـول وعلـوم العربيـة وعلـم الميقـات وعلـم الهيئـة[4]، سـكن بالمدرسـة الشـهابية ونظـرا لعلمـه الغزيـر وسمتـه وأدبـه الجـم ألزمـوه تـدريس طلبـة هـذه المدرسـة مقابـل السـكن فيهـا وقـد وصـفه إبنـه قائلا"كـان متفننـا في عـدة علـوم فعظـم

[1] ابن جبير ،المصدر السابق،ص 132

[2] أسرة ءال فرحون:هي أسرة لها باع طويل في العلم ونشره إستمر نشاطها العلمي قرونا متتابعة جيلا بعد جيل تعود أصول هذه الأسرة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان القرشي،التنبكتي ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،تح عبد الحميد الهرامة ،دار الكتاب طرابلس -2000،ص307.

[3] ابن فرحون ،المصدر السابق ،ص245-246

[4] علم الهيئة:هو فرع من علوم الفلك يعرف من خلاله أحوال الأجرام البسيطة والعلوية والسفلية وأشكالها وأنواعها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها،(ينظر أبجد العلوم،صديق بن حسن ،ج02،ص 576-577)

عند الجماعة وأحبوه ولزموه واشتغلوا عليه بالفقه والعربية"[1]، كان بالإضافة للتدريس بالمدرسة الشهابية يقدم دروسا بالمسجد النبوي على المذهب المالكي.

عاش الشيخ أبو عبد الله اليعمري طيلة سنين عمره بالمدينة المنورة في خدمة العلم وأهله ونشر المذهب المالكي وخلف فيها ذرية صالحة كاسم أمهم ورثوا عنه العلم وتعليمه توفي سنة 721هـ.[2].

ومن العلماء المغاربة الذين كانت لهم حلقات تدريس بالمدينة المنورة نجد ايضا:

مُحَمَّد بن عمر بن يوسف الأنصاري أبا عبد الله القرطبي المالكي المكنى بابن مغايظ (558هـ/631هـ)[3]:

هو الحافظ المدرس كان عالما بارعا متفننا في عدة علوم كعلوم الفقه والقراءات و العربية وإماما صالحا مصلحا طويل الباع في تفسير القرآن الكريم بصيرا بمذهب مالك ولد بالأندلس سنة 558هـ،ونشأ بفاس ،حج وسمع العلم بمكة المكرمة ثم بمصر،لينتقل بعدها إلى المدينة المنورة فاستطوفها وجاور بها شهر بالزهد والإستقامة والفضل والورع، برع في علوم القرءان خاصة التفسير والأدب فاقرأ بالمدينة حيث كان أستاذا في القراءات والتفسير والنحو تخرج على يده الكثير من العلماء توفي بالمدينة المنورة [4].

2. الحضور العلمي للعلماء المجاورين على مستوى القضاء:

يعتبر القضاء من الوظائف الأساسية في المجتمع الإسلامي وبالخصوص الحجاز كونه يضم أعظم البقاع وأشرفها مكة المكرمة والمدينة المنورة ،فالقضاء مهنة ليست ككل المهن لأنها تتطلب من صاحبها أن يكون ملما بالعديد من العلوم ولكون القضاء من المناصب الحساسة في الدولة فلزاما على القاضي أن يتحلى بشروط بالغة الدقة

[1] ابن فرحون ،تاريخ المدينة المنورة،ص244

[2] شمس الدين السخاوي،المصدر السابق ،ص526

[3] شهاب الدين ياقوت الحموي،معجم الأدباء-المعارف العمومية بمصر،مطبوعات دار مامون ،ط الأخيرة،ص19

[4] كمال ڤمان،العلماء المغاربة والأندلسيون المجاورين بالحرمين الشريفين ،مجلة النوازل الفقهية والقانونية،مجلد 7،العدد 2، السنة 2023-ص471

والأهمية حتى يرتقي هذا المنصب وعلى رأس هذه الشروط الجانب العلمي والوازع الديني فلكي تكون قاضيا في دولة إسلامية لا بد ان تكون فقيها متمكنا في فقه النوازل عالما بأحكامها ومفسرا للقرآن الكريم.

وقال تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا"[1]، وأديبا عارفا بشؤون المجتمعات وأحوالهم وتقاليدهم يستطيع من خلال ذلك القضاء في شؤون وقضايا الناس بعدل وحكمة قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[2].

ولما كانت المدينة المنورة بمكان عظيم في الدين وقدسية خاصة فقد كان القضاء بها ذا أهمية خاصة نابعة من أهميتها في قلوب المسلمين لذلك كان لقاضي المدينة المنورة مقربا ذا مكانة محترمة لدى الحكام وعوام الناس ولأجل ذلك لا يقرر تعين قاضي طيبة أو عزله إلا صاحب أعلى سلطة في الدولة.

بما أن الفترة المدروسة التي تتوافق مع حكم الأيوبيين و المماليك في بلاد الحجاز خلال القرن السادس والسابع هجري فقد كان المذهب المعتمد من طرف المماليك هو المذهب الشافعي[3] وبقي الأمر على حاله إلى أن أتى الظاهر بيبرس السلطان المملوكي وأحدث القضاء على المذاهب الأربعة[4]، ولقد ذكر المؤرخون جملة من الأعلام المغاربة ممن تبوؤوا منصب القضاء واشتغلوا به بالمدينة منورة أبرزهم:

البدر عبد الله بن فرحون اليعمري الأبدي التونسي(ت769هـ):

مدني المولد والنشأة[5] قرأ القرآن على يد الشيخ عبد الله القصري المقري و يعتبر أول من مارس القضاء من قضاة الغرب الإسلامي بالمدينة المنورة حيث إشتغل بهذا المنصب

[1] سورة النساء ، الاية 105.

[2] سورة النحل،الاية 90.

[3] السخاوي ، المصدر السابق، ص267.

[4] القلقشندي ،المصدر السابق،ص 35.

[5] عبد الله إبن فرحون ،المصدر السابق ،ص 572.

نحو أربعة وعشرين عاما وأمّ المحراب النبوي عدة صلوات وقد سمع الحديث عن والده بالمدينة وعن أبي عبد الله بن حريث البلنسي وعن الشيخ عز الدين يوسف الزرندي[1] كان عالما بالفقه ملما بكل علوم الشريعة سريع البديهة قوي الملكة الفقهية قال عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان " ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثل هذا الرجل".

وبهمته وسياسته أزال الله تعالى به حكم الطائفة الإمامية من المدينة المنورة فعزل قضاتهم وكسر شوكتهم وذلك حين ما تولى الحكم بالنيابة عن القاضي تقي الدين الهويريني سنة 746هـ.

وله عدة تآليف في ميادين شتى نذكر منها:-الدر المخلص من التقصي والملخص وهو كتاب جمع فيه المؤلف بين أحاديث الكتابين كتاب التقصي لأبي عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد البر وكتاب المخلص لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن خلف القابسي وله كتاب الغطا لشرح أحاديث مختصر الموطأ وصفه السخاوي فقال "بأنه شرح عظيم" شرح بن فرحون فيه أحاديث الدر المخلص في أربع مجلدات[2] وقد شرح ابن فرحون مختصره في الفقه المالكي سماه كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلاب كما ألف في التفسير وله نهاية الغابة في شرح الآية عبارة عن أسئلة وأجوبة على أي القرآن قال عنه فيروز أبادي"صنف وأفاد وألف وأجاد".

ومن الأعلام المغاربة الذين كانوا قضاة بالمدينة المنورة نجد ايضا :

أحمد بن عبد الرحمن أبو العباس التادلي(ت741هـ):[3]

الفاسي المغربي المالكي كان صدرا في العلماء ذا عفة ودين وعبادة و فقيها فاضلا متفننا في علوم عدة[4] نزيل المدينة المنورة خلال القرن السابع هجري ولي القضاء بالنيابة

[1] عبد الله ابن فرحون،المصدر السابق ،ص 9-10.

[2] أحمد بن مُحَمَّد المكناسي ،درة الحجال في أسماء الرجال،تح مُحَمَّد الأحمدي أبو النور،مكتبة التراث القاهرة،ج3 ص51.

[3] التادلي:حرف من طرف أهل التراجم في الأصل الشاذلي والتادلي نسبة إلى تادلة وهي بلدة بين فاس ومراكش.

[4] عبد الله ابن فرحون ،المصدر السابق،ص220.

في المدينة المنورة على المذهب المالكي ساهم في نشاط الحياة العلمية بالعديد من المؤلفات منها كتاب التنقيح وكتاب شرح عمدة الأحكام في الحديث[1].

3.حضورهم على مستوى الامامة والافتاء:

أما بالنسبة للإمامة والافتاء خلال فترة الحكم الأيوبي القرن السادس الى منتصف القرن السابع هجري لم نجد كثير كلام عنه في بطون المصادر التي قمنا بمراجعتها فقد كانت السلطة بيد الشيعة الامامية وورثها الاباء لابنائهم والسبب راجع الى كون مذهب حكام المدينة واشرافها الذي كان اماميا شيعيا واستمر الامر الى غاية النصف الثاني من القرن السابع هجري وهو فترة حكم المماليك الذي اعتمد على المذاهب السنية الاربعة وبالرغم من التنوع المذهبي السني بالمدينة الا ان حكام المماليك لم يسمحوا بتعدد الائمة في المسجد النبوي بسبب معارضة اهل المدينة[2].

وبقيت الامامة شافعية المشرب الى ما بعد منتصف القرن التاسع هجري (المذهب الشافعي هو المذهب المعتمد عند المماليك). ليليه بعد ذلك المذهب الحنفي سنة 861هـ اذ عين الى جانب محراب الشافعية محراب للأئمة الحنفية وما يهمنا في هذا الصدد هو عدم استحداث محراب للمالكية بالحرم المدني الذي منع من ظهور علماء مغاربة و اندلوسيين ليأموا به غير اننا وجدنا ابو عبد الله القرطبي(ت631هـ-1233م) حيث ذكره الفاسي في كتابه العقد الثمين انه كان إماما للحرمين في زمانه[3].

[1] إبراهيم ابن فرحون ،الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب،تح حمزة ابو فارس،دار الغرب الاسلامي بيروت،ط1، ص255

[2] المديرس ،المدينة المنورة في العهد المملوكي، ص203

[3] الفاسي،العقد الثمين ج2، ص237

الفصل الثاني

الفصل الثاني :جهود العلماء المغاربة بالمدينة المنورة في العلوم النقلية

و العقلية والعلوم الأخر.

المبحث الأول:جهود علماء المغرب الإسلامي بالمدينة المنورة في العلوم النقلية

1.علوم القرآن

2.علم الفقه والأصول

3.علم الحديث

المبحث الثاني:جهود علماء المغرب الإسلامي بالمدينة المنورة في العلوم العقلية.

1. علم الميقات والحساب.

2. علم الطب والصيدلة والكيمياء.

3. علم التاريخ والسير.

4. علم اللغة والأدب.

5. علم المنطق

.6 علم التصوف

.

الفصل الثاني : جهود العلماء المغاربة بالمدينة المنورة في العلوم النقلية والعقلية.

عرفنا فيما سبق أن المدينة المنورة تمتعت منذ الهجرة المحمدية إليها بحركة فكرية لم تشهد البشرية مثلها على مدى التاريخ بما فيهم المغاربة، حيث برزت نخبة من علماء المغرب والأندلس زينوا مجالس الحرم المدني بعلمهم الوافر وساهموا في تنشيط الحياة العلمية بها خلال الحقبة الزمنية الممتدة بين القرنين السادس والسابع هجري، فأتحفوا حلقات تدريسهم بما كانوا يتقنونه من علم ومعرفة أذهلوا بها عقول من جالسوهم وأسندوا ركبهم إليهم، بل أصبحوا قدوة ومثالا يحتذي به في كلّ مجال شاركوا فيه، وأبدعوا في جميع العلوم بمختلف أصنافها ونشير هنا إلى إنه كان من عادة العلماء قديما وحديثا تصنيف العلوم العقلية والنقلية وذهبوا في ذلك مذاهب شتى اذ يقول ابن خلدون : "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية... و الثاني هي العلوم النقلية الوضعية ... ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع."[1]

كما لا يخفى عن الدارس للحياة العلمية بالمدينة المنورة أن للمغاربة جهود معتبرة في خدمة العلوم العقلية والنقلية، سواء من خلال مؤلفاتهم أو تدريسهم في الفترة الزمنية المضبوطة، وعليه سنحاول تتبع هذا النشاط العلمي لهم ومن ثم تقييم انجازاتهم ومدى تأثيرهم في انتشار مختلف أصناف العلوم وبقائها بالمدينة المنورة.

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ج 02، ص358.

المبحث الأول : جهود علماء المغرب الإسلامي بالمدينة المنورة في العلوم النقلية

من الواضح أن دراستنا للدور العلمي للمغاربة في المدينة المنورة لا يمكن أن تستكمل عناصرها ما لم نلق نظرة ولو خاطفة على جهودهم في العلوم النقلية، وحينما نتحدث عن العلوم الدينية أو النقلية فهي العلوم التي حصلت من جملة من الشيوخ عن طريق الرواية، وهي تندرج ضمن ثلاثة فروع أساسية (علوم القرآن وعلوم الحديث وعلم الفقه والأصول)[1] ،وضعت لاستيعاب الدين والإلمام بما خلفه الأجداد والواضعون لهذه العلوم للحفاظ عليها والدفاع عنها[2].

و تميزت الحركة العلمية بالمدينة المنورة عموما خلال القرنين (6-7هـ) (13-12م) كما أشرنا سابقا بتقدم ملموس وواضح خاصة في مجال العلوم النقلية باعتبار أن الحركة المملوكية كانت إصلاحية دينية، فكان القصد من ورائها تحقيق أغراض دينية خالصة ومحاربة الفساد والجهل الذي خلفته الدولة الأيوبية الشيعية في الناس..[3] ونستشف من خلال هذا أن العلوم النقلية عرفت اهتماما كبيرا من طرف المملوكيين فشجعوا مثل هذه العلوم وجعلوا القرآن والسنة المصدرين الأساسيين لاستنباط الأحكام، وعليه كان هناك طابع ديني للمماليك جعل تأثيرهم كبير في تطور العلوم النقلية حتى ازدهرت حركة التأليف خلال هذه الفترة المدروسة فكتب مصادر التاريخ وتراجم الرجال لا تكاد تخلو من ذكر العلماء المغاربة الذين برزوا في هذا المجال.

1.علوم القرءان الكريم:

يعتبر نزول القرآن الكريم المصدر الأول لنشاط الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي، حيث تعاهده المسلمون حفظاً وتلاوة وتدبرا لآياته واستنباطا لأحكامه، وكان من نتائج الاهتمام بالقرآن الكريم نشأة علوم لها صلة وثيقة به.

---

[1] شقرون مُحَّد بن أحمد مظاهر الثقافة المغربية، في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، مطبعة الرسالة الرباط، 1982، ص 191.

[2] – برنامج الغبريني، ملحق في عنوان الدراية في من عرف من علماء في المائة السابعة في بجاية–تح رابح بونار–الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1981، ص 309-310

[3] – عبد الله ابن فرحون، المصدر السابق ، ص395،271،212.

وقد كان لفقهاء الحجاز دور مهم في بلورة وتهذيب تلك العلوم، لأنهم يعدون اللبنة الأولى في ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي الحنيف[1]، وإن الباحث في الحياة العلمية بالمدينة المنورة يجد أن للمغاربة جهود معتبرة في خدمة علوم القرآن وسنقف على ذكر أسماء أبرز هؤلاء العلماء والذين اشتهر في هذا المجال:

1.1. علم القراءات:

- **القراءات:**

لغة: هي جمع قراءة و مصدر (لقرأ) ومنه قولهم ما قرأت جنيناً، أي لم تضم في رحمها ولداً وفي هذا أنشد عمرو بن كلثوم:"هجان اللون لم تقرأ جنينا"[1]، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي القرآن لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد، والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران والقارئ جامع للحروف وضام بعضها إلى بعض[2].

اصطلاحا: نقصد بعلم القراءات تلك العلوم التي ترتبط بكتاب الله وهو القرءان العظيم، حيث تعتني بطريقة إلقاءه وتضبط كيفية نطق حروفه، فسمي ذلك بعلم القراءات، كما سميت قراءة القرآن وإلقاءه بعلم الإقراء، وقد اختلفت القراءات بين المقرئين مما أدى إلى وجود سبع طرق سميت بالقراءات السبع[3].

ويعد علم القراءات من أقدم العلوم في الإسلام نشأة وعهداً وأشرفها منزلة، فأول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان قراءة القرآن الكريم وحفظه، وبعد أن اختلف الناس في قراءة القرآن الكريم وضبط ألفاظه تبعاً لاختلاف وتباين لهجات القبائل العربية، فأصبحت الحاجة ماسة إلى علم يميز بين ما تصح القراءة به وما لا يصح، ووقاية لكلماته من

---

[1]-إبن منظور، لسان العرب، المصدر السابق،ج12- ص51

[2]-إسماعيل الجوهري، الصحاح، تح: زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، ج01-ص50.

[3]- القراءات السبع تنسب إلى نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم،وعبد الله بن كثير بن المطلب،وأبو عمرو بن علاء،عبد الله بن عمر،وعاصم بن بهدلة بن أبي النجود وحمزة بن الحبيب بن عمار، وأبو حسن الكسائي -مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط01، بيروت، دار الكتب العلمية -1405هـ-1985م، ج02، ص24،ص40.

التحريف دفعاً للخلاف بين المسلمين فظهر بذلك علم جديد قائم بذاته منفصل عن باقي العلوم الدينية سمي بعلم القراءات.

وقد أبلى في هذا المجال العلماء المغاربة بلاء حسنا فتزاحم العلماء والطلبة لسماع قراءتهم المتواترة سندا عن سند عن النبي ﷺ أو لنيل فضل الإجازة عنهم في علم القراءات بالمدينة المنورة، ومن هؤلاء نذكر:

الشاطبي(ت590هـ/1193م):

هو الشيخ الإمام العالم العامل القدوة سيد القراء أبو مُحَمَّد القاسم ابن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي ناظم الشاطبية والرائية[1]، وقد كان للشاطبي المتوفى بمصر، دورا كبيرا في تبلور هذا العلم بالمدينة المنورة عن طريق تلامذته، و كان من أبرزهم علم الدين أبو الحسن علي السخاوي وذلك من خلال نقل قصيدته في القراءات التي ألفها عقب وصوله القاهرة وسماها "حرز الأماني ووجه التهاني" أصبحت تسمى لاحقا بالشاطبية[2].

وقد ساهم هذا المؤلف في إضفاء التجديد في هذا الميدان وأصبح أساس كل تأليف سيأتي في السنوات اللاحقة، وقد عُني الكثيرون بشرحه واختصاره، مما يؤكد قيمته العلمية وتم استدلالنا على هذا من خلال ما ذكره ابن خلدون (ت 808هـ - 1405م) في حديثه عن تكوينه أنه عرض ببلاد المغرب قصيدتي القاسم بن فيرة و هما الشاطبية في القراءات والعقلية في الرسم على شيخه أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن برال حتى يُجيزه الإجازة العامة[3]، وهو ما يؤكد لنا على أن الشاطبية بقيت تُدرس في البلاد الإسلامية حتى القرون اللاحقة .

[1]- الذهبي، سير أعلام النبلاء،دار الحديث القاهرة ،ط1413هـ/م1992، ج7،ص261.

[2]- القاسم بن فيره الشاطبي، متن الشاطبية المسمى بحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع -تح مُحَمَّد تميم الزعبي، ط05، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق2010

[3]- إبن خلدون، المصدر السابق، ص346

ومن العلماء المغاربة الذين برزوا في هذا المجال نجد أيضا :

ابن العرجاء(ت587هـ):

هو الإمام المقرئ أبو مُحَمَّد عبد الله بن عمر القيراوني المعروف بابن العرجاء[1] إمام الحرمين الشريفين أقرأ بمكة والمدينة وتخرج على يده كوكبة من العلماء،وممن أخذ علم الرواية عنه، نذكر:عبد المنعم بن مُحَمَّد الغرناطي (ت 597هـ/1192م)، وعتيق بن أحمد الأوريولي (ت، 551هـ / 1146م)، علي بن أحمد المحاربي الغرناطي المقرئ (ت، 589هـ/1184م)، مُحَمَّد بن إبراهيم اللخمي الغرناطي (ت 587هـ/1182م)[2].

إضافة إلى هؤلاء الإعلام المغاربة الذين اشتهروا في علم الإقراء وجدنا :

المقرأ **كمال الدين مُحَمَّد بن عبد الله الغرناطي (ت 715هـ/1315م)** ساهم في علم القراءات وسمع منه الكثير مثل المقرئ أبي عبد الله مُحَمَّد بن علي الأندلسي الغرناطي المعروف بالشامي[3] ،وكذلك لدينا المقرئ أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الأزدي السبتي المدني (ت660هـ) الذي استظهر عليه مُحَمَّد بن صالح بن إسماعيل الكناني ثلاثة أرباع القرآن الكريم[4].

زيادة على هؤلاء العلماء القراء عثرنا على مغربي آخر تصدر للقراءات بالمدينة وهو:

أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله السبتي المغربي ثم المدني المالكي (ت720هـ): قال عنه ابن فرحون كان من العلماء المجاورين بالمدينة المنورة، المقدمين في العلم والتعليم. وكانت له على أولاد المجاورين بل وعلى أهل المدينة المنورة يد طويلة ومنة عظيمة في تعليم القراءات فكان

[1]- أبو الخير مُحَمَّد الشافعي ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء،تح: برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت ط01-2006، ج1، ص392

[2]- أبو عبد الله المراكشي، الذيل والتكملة، تح احسان عباس ،دار الغرب الاسلامي ،تونس ،ج03، ص47،ص93.

[3] ابن الجزري، المصدر السابق ،ج02، ص187.

[4] السخاوي، التحفة اللطيفة-ج03-ص583.

من أبرز معلمي الأطفال في المدينة المنورة، وذكر أن بكتابه أكثر من مائة متعلم، وقد ختم على يديه القرآن الكريم طلبة كثيرون أغلبهم من أولاد المجاورين توفي سنة 720هـ [1].

2.1علم التفسير :

التفسير لغة من الفُسر أي الإبانة والكشف والإظهار والبيان حيث يصبح الكلام لا يعتريه الغموض والضبابية واصطلاحا هو علم يفهم به كتاب الله عز وجل وتبين معانيه وتستخرج أحكامه[2]، ويمكن أن نقول بأن التفسير هو العلم الذي يعرف به أسباب نزول القرءان وترتيب الآيات حسب نزولها مكية كانت أم مدنية ،ونعرف من خلاله ناسخه ومنسوخه، خاصه وعامه، حلاله وحرامه، أمره ونهيه، لهذا لقي علم التفسير عناية خاصة من العلماء المسلمين وذلك نظرا لأهميته وقيمته الكبيرة في الدين إذ به يفهم المصدر الأول في التشريع، وقد أبدع الكثير من العلماء المغاربة الموسوعيين ممن تصدروا في مجالس التفسير ونخص بالذكر من قدم بلاد الحرمين ومن الملاحظ من خلال المصادر المختصة بتلك الفترة أن البعض منهم كانت له مساهمة مزدوجة في كثير من العلوم بين مكة والمدينة ومن بينها علم التفسير لكونه نزل بهما معا نذكر منهم:

مُحَمَّد بن يوسف بن عمر الأنصاري المكنى بابن مغايظ القرطبي المالكي(558هـ/1162م):

كان إماما فاضلا صالحاً، متقناً بارعاً في عدة علوم، مؤلفا في التفسير والأدب والنحو، بصيرا بمذهب مالك ولد بالأندلس، ونشأ بفاس، وحج وسمع بمكة، ثم انتقل إلى

[1]- السخاوي، المصدر السابق، ص617

[2]-عنتر نوردين ،علوم القرءان الكريم،مطبعة الصباح دمشق ،ط1، 1414/ 1993،ص72

المدينة المنورة فاستوطنها وجاور بها، أقرأ وأسمع بالمدينة، وكان أستاذا في القراءات والتفسير والنحو، تخرج على يديه جماعة من العلماء توفي بالمدينة المنورة. [1]

ولدينا كذلك العالم المجاور عبد الله بن مُحَمَّد بن فرحون بن مُحَمَّد بن فرحون البدر اليعمري الجياني[2]: برع في التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن السابع إلى بدايات القرن الثامن للهجرة، وشهادته عن نفسه كفيلة بذلك حين قال : لازمت تفسير ابن عطية[3] حتى كدت أحفظه[4]، وقد ترك في التفسير ما يدل على ذلك منها نهاية الغاية في شرح الآية: هذا المؤلف عبارة عن أسئلة وأجوبة على آيات من القرآن الكريم[5].

إضافة إلى هؤلاء العلماء فقد ظهر خلال تلك الفترة مجموعة من المفسرين المغاربة ممن ذاع صيتهم وكان لهم باع طويل في التفسير وساهموا بمؤلفاتهم في تنشيط حلقاته كابن عطية الغرناطي (504هـ/584هـ)وأبو بكر عربي (468هـ/543)صاحب "أحكام القرآن" وعبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي (ت 608هـ)ألف في تفسير القرآن[6].

وبالرغم مما كان عليه المغاربة من اهتمام بمجال علم التفسير وشهرة إلا أننا لم نتوصل في كتب السير والتراجم إلى علماء مغاربة مدنيين صنفوا أو تصدروا بالمدينة المنورة في التفسير غير البدر بن فرحون الذي وجدنا له مصنفا في ذلك أشرنا إليه سابقا .

---

[1] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7–ص203، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار التكملة لكتاب الصلة تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1995، ج2، ص 125–ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص 193 .

[2] ينظر الفصل الأول –ص39.

[3] – يقول ابن خلدون عن كتاب ابن عطية "الوجيز في شرح كتاب الله العزيز" والذي كان أكثر شيوعا وذيوعا بين الناس «وجاء مُحَمَّد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحنى...» ابن خلدون، المقدمة، ج 1، المصدر السابق ص 471.

[4] ابن فرحون، الديباج المذهب–ج01–ص455.

[5] –خالد حسان الجابريالحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي(648هـ–923هـ)–رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية –إشراف الدكتور سعيد مرزين عسيري–كلية الدراسات العليا التاريخية والحضارية–جامعة أم القرى–1413هـ–ج02–ص447.

[6] – المراكشي: المصدر السابق ، ج 3 ، ص 207.

2. علم الحديث:

عرف علم الحديث اهتماما بالغا من طرف النخبة المغاربة كونه المصدر الثاني في الإسلام ومن أعظم العلوم النقلية وأشرفها بعد علوم القرءان، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن المذهب المعتمد في تلك البلاد هو المذهب المالكي وكتابه كتاب الموطأ هو من الكتب المشهورة المعتبرة في علم الحديث، ولقد عرف ابن خلدون علم الحديث فقال:"النظر في الأساليب و معرفة ما يجب من الأحاديث بوقوع على السند كامل الشروط، لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله ﷺ فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو معرفة رواة بالعدالة والضبط"[1].

كما يرى السيوطي أنه " علم يشتمل على أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها"[2].

وقد تزاحم الكثير من المغاربة في هذا المجال"علماء وطلبة" فالكثير منهم كان حريصا من أجل حصول على علوم السند المتصل بالنبي صلى الله عليه و سلم.

فقد ذكرت المصادر التاريخية وكتب التراجم والطبقات أسماء العديد من المحدثين المغاربة سنحاول أن نذكر مجموعة من العلماء ممن صنفوا من كبار المحدثين، وإن كنا نسلم بأن معظم علماء المغرب الإسلامي الذين شملتهم دراستنا لموضوع هذا البحث كانوا على درجة كبيرة من الحفظ للحديث النبوي ومن هؤلاء المحدثين :

عبد الله بن فرحون اليعمري الجياني (ت: 769هـ):

المحدّث عالي القدر والسند الذي أشار إليه صاحب الديباج أنّه"انفرد آخر عمره بعلو الإسناد"[3]، وله في الحديث مؤلفات منها الدر المخلص من التقصي والملخص"[4]، وآخر

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق-ص 441

[2]- السيوطي-تدريب الراوي في شرح تقريب النووي-تح عبد الوهاب عبد اللطيف-ط02-1966-مصر-ج 01-ص 40.

[3]- ابراهيم ابن فرحون ، المصدرالسابق-ج01ص455.

[4]- ابراهيم ابن فرحون، المصدر نفسه-ج 02-ص 125

أسماه كشف المغطى في شرح مختصر الموطأ في أربع مجلدات، وله أيضا العدة في إعراب عمدة الأحكام في الحديث. وهناك عالم آخر هو ابن أخ السابق اسمه نور الدين علي بن فرحون (ت: 746هـ) المتبحر في علوم عدة على لسان ابنه إبراهيم صاحب الديباج أنّه كان محدثا، متقنا، عارفا بضبط الحديث، وأسمائه رجاله، ولغته .

ومن المحدثين المغاربة الذين تألقوا بعلمهم في المدينة المنورة الشيخ خلف بن عبد العزيز بن مُحَمَّد الغافقي الإشبيلي القبتوري [1](615 هـ-704 هـ)[2]وصف بالشيخ المحدث الأديب مسمع الرواية ذكره السخاوي أنه كان يحدث في المدينة المنورة بكتاب "الشفا "للقاضي عياض[3]، وقد كان كثيرا ما يحدث به في حلقاته العلمية، وكانت روايته لكتاب الشفا عن شهاب الدين أحمد بن قاسم الحرازي عن أبي مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي قاسم الأنصاري عن أبي زيد عبد الرحمان الأنصاري الخزرجي عن أبي جعفر الحصار عن مؤلفه القاضي عياض اليحصبي رحمهم الله [4]، وقد قال عنه ابن فرحون:"كان من شيوخنا وله علو السند في الموطأ والشفا"[5].

وقد اشتهر غير هؤلاء الكثير من المحدثين المغاربة خلال الفترة المدروسة ممن برعوا في علم الحديث رواية ودراية كالبدر بن فرحون والوادي آشي وابن حريث العبدري وعبد الله بن يحيى الغرناطي المعروف بالشامي وقد تم ذكر هؤلاء العلماء في العديد من المواضع السابقة خلال الدراسة .

[1]- بفتح القاف ،وسكون الباء ،وفتح التاء بعد راء مهملة نسبة إلى بلدة قبتورة أو قبتور ويقال عنها كبتور من بلاد المغرب وهي قرية من قرى إشبيلية.ينظر مرتضى الزبيدي-تاج العروس-ج 07-ص 198

[2]- المقري-نفح الطيب-المصدر السابق -ج02-595 .

[3]- السخاوي، التحفة اللطيفة -ج02ص20

[4]- الفاسي، ذيل التقييد -ج02ص358.

[5]- ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة ،ص 117

3. الفقه وأصوله:

الفقه لغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه الى النظر والتأمل[1]، أما في اللغة هو العلم بالشيء والفقه في الأصل بمعنى الفهم.

ولما عظمت الأمصار وتمكن الاستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلماً، انقسم الفقه إلى مدرستين: مدرسة أهل الرأي والقياس و مدرسة أهل الحديث، وكان الحديث قليلا في أهل العراق فاستكثروا من القياس و مهروا فيه، فلذلك قيل أهل الرأي، و مقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه و في أصحابه أبو حنيفة، وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس و الشافعي من بعده هم عمدة مدرسة النقل والحديث، وقد أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا به و هم الظاهرية، و جعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص و الإجماع.[2]

وارتبط علم الفقه في المغرب الإسلامي ارتباطاً وثيقاً بالمذهب المالكي، وظهر من المغاربة والأندلسيين العديد من العلماء البارزين الذين قاموا بتدريس علم الفقه وأصوله ومما ميز هؤلاء العلماء الذين فضلوا جوار الحرمين الشريفين تمسكهم بمذهبهم المالكي وإتقانهم لأصوله وفروعه، فساهم هذا الانتماء في إعادة إحياء المذهب المالكي بالمدينة المنورة ويعود الفضل في نشر المذهب من جديد بالحرم المدني وبلاد الحجاز عامة إلى أسرة ابن فرحون، فقد كان مُحَمَّد بن فرحون بن مُحَمَّد بن فرحون (ت 721هـ / 1321م) فقيهاً مدرساً لطلبة المالكية بالمسجد النبوي[3].

لكن هذا لا يعني أن آل فرحون هم فقط من شاركوا في خدمة الفقه المالكي بالحرم المدني بل وجدنا من سبقهم في ممارسة الفقه وأصوله خلال القرن ال6و7هجريين، وقد برز كوكبة

---

[1]- عبد الوهاب خلاف ،علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط، 1996-ص13

[2]- إبن خلدون، المقدمة،المصدر السابق،ص445

[3]- السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3 ، ص 710.

من الفقهاء مغاربة ممن زينوا حلقاتهم العلمية بشرح وتدريس مصنفات سواء كانت شافعية، أو حنبلية وخاصة المصنفات المالكية نذكر منهم:

ابن الحصار الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي الإشبيلي الفاسي (ت: 611هـ / 1214م):

هو الإمام الفقيه الأصولي المفسر، وله تصانيف كثيرة جل معناها وعظت ثمارها منها "تقريب المدارك في رفع الوقوف ووصل المقطوع من حيث مالك" اختصر فيه بعض معاني كتاب التمهيد لأبي عبد البر، وصنف أيضا "كتاب البيان في تنقيح البرهان"[1]، وقد أقرأ أصول الفقه بمكة والمدينة معا، لكن نشاطه بالمدينة كان أكثر منه بمكة، حيث حدث بالفقه وأصوله فروى عنه بالمدينة المنورة الجرشي وعبد العظيم المنذري[2].

كما نجد أيضا

أبو عبد الله محمَّد بن حريث (ت: 722هـ / 1322م):

هو الشيخ الإمام الفقيه العلامة المحدث قد جمع الله له بين الحديث والفقه معا في العلم، وبين مكة والمدينة معا من حيث التدريس والإلقاء وأكثر ما كان يلقيه على طلبته بالمدينة هو كتاب "الموطأ" عن ابن أبي الربيع عن ابن بقي وكان يختص بالروضة الشريفة أثناء عقد حلقاته الفقهية، وممن سمع منه الموطأ بالروضة الشريفة البدر ابن فرحون".[3]

[1]-الذهبي،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الاعلام،تح بشار عواد معروف،دار الغرب الاسلامي،بيروت لبنان ،ط1، 1424هـ/ 2003م، ج13،ص319

[2]- محمَّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،تح عبد المجيد الخيالي ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1 2003، ج01،ص249.

[3]- ابن فرحون ،تاريخ المدينة ،المصدر السابق،ص77.

المبحث الثاني: جهود علماء المغرب الإسلامي بالمدينة المنورة في العلوم العقلية.

بعد الكلام عن الجهود التي بذلها المغاربة في تحصيل العلوم النقلية ونشرها، نرى انه لا مناص من الكلام عن العلوم العقلية التي خاضوا فيها في عصر شهد تناميا في الحركة العلمية وكثر فيه أهل العلم, و إن المتتبع لمسار تاريخ الغرب الإسلامي فإنه يجد في كتب التراجم الكثير من العلماء المغاربة الذين جمعوا بين التخصص والموسوعية, إلا انه من خلال تقصينا للمصادر التاريخية لهذه الفترة علمنا انه لم يكن هناك اهتمام كبير بالعلوم العقلية خاصة ما تعلق بالحساب والمنطق والفلسفة لعدة أسباب تختلف باختلاف مسبباتها الدينية منها وأخرى سياسية, ورغم هذا كله فقد كانت لهم بعض الإسهامات بالمدينة المنورة, والملاحظ أننا لم نعثر على عدد كبير من العلماء المغاربة فيما اطلعنا عليه من مصادر شاركوا في هذا المجال وهذا فيه إشارة إلى انه لم هناك انتشار واسع لهذه العلوم بالمدينة وعلى قلة إسهامات المغاربة في هذه العلوم إلا أنها كانت قيمة سنذكر في هذا المبحث شيئا من ذلك.

1.علم الحساب والميقات:

اهتم علماؤنا المغاربة بهذين العلمين لكونهما مرتبطين ارتباطا وثيقا بأمور الدين فالأول له علاقة بالمواريث وحسابها وهو علم له أهميته في علم الفرائض لمعرفة تأصيل المسائل وتصحيحها، لذا لابد لمن أراد تعلم الفرائض وإتقانها أن يتعلم الحساب من حيث تحليل الأعداد وتركيبها، ومعرفة التعامل مع الكسور ونحو ذلك فبه تعرف كيفية قسمة تركة الميت بين الورثة، فلا بد للفقيه الأصولي من أن يكون ذا معرفة شاملة بعلم الحساب[1].

[1]- الحساب : هو صناعة علمية في حسبان الأعداد بالضم والتفريق ، ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص 78.

أما الثاني ذو علاقة بالفلك وبعيداً عن علم التنجيم والرؤى المستقبلية الذي ارتبط به علم الفلك [1] عند الحضارات القديمة، فقد كان لهذا العلم مكانة مركزية في المجتمع منذ عصور الحضارة الإسلامية الأولى، حيث اعتمد المسلمين في البداية على علم الفلك لثلاثة أغراض: حساب مواقيت الصلاة لأماكن وأزمنة مختلفة بالاعتماد على حركة الشمس، وتحديد اتجاه القبلة للصلاة، وتحديد مواعيد الأعياد الدينية وبخاصة شهر رمضان والحج، وذلك من خلال رصد الهلال قال تعالى:"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ".[2]

يعتبر علم الفلك من العلوم المتعلقة بأغلب أركان الإسلام، كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، لهذا كان لزاماً على المسلمين الاهتمام بهذا العلم، وتسخيره لخدمة دينهم ودنياهم؛ وقد كان لكثير من العلماء المسلمين السبق في كثير من فروعه، وبرعوا فيه واشتهر شأنهم، وأصبحوا هم أعلام هذا الفن وروَّاده، ومخطوطاتهم شاهدة على ذلك منها المحققة ومنها قيد التحقيق .

وخلال القرنين السادس والسابع الهجريين، قام علماء الغرب الإسلامي بجهود مميزة في مجال علم الميقات والحساب بالمدينة المنورة و من أبرز هؤلاء العلماء:

أبو علي الحسن بن عيسى الحائي(ت749هـ):

كان الشيخ حسن من العلماء الأتقياء الأقوياء في دينهم مع التفنن في علوم عديدة، إماما في مذهب مالك وفي العربية وأصول الفقه، رحلة في علم الحساب والفرائض، مشاركا في اللغة وغيرها، انتفع به الطلبة من جميع المذاهب الأربعة، توفي سنة 749أو750هـ.[3]

---

[1]- الفلك اسم يطلق على الجسم المستدير وعلى سطح الكرة وسطح الدائرة وعلى محيطها تشبيها بفلكة المغزل في الأصل وفي العرف على السماويات خاصة،وعند ابن خلدون هو ذلك العلم الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية.ينظر العرضي،تأريخ علم الفلك عند العرب،تح جورج صليا،ط2,مركز دراسات الوحدة العربية،ص29،30.إبن خلدون ،المقدمة،المصدر السابق ج03 ،ص187

[2]سورة البقرة ،الاية 189

[3]- ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة، ج01،ص161.

كما نذكر أيضا العالم الجليل السابق ذكره في العديد من المواضع هذا وإن دل إنما يدل على تبحره في كثير من العلوم ألا وهو أبو عبد الله مُحَمَّد بن فرحون اليعمري الأبادي الجياني التونسي الملقب بالشمس: اشتهر علمه وفضيلته وتفننه في علوم عدة واشتغل عليه الجماعة بمدرسة الشهابية بالمدينة فعلم الهيئة والميقات بحيث انقطع وقته مع المشتغلين به.[1]

ومنهم كذلك أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي الغرناطي الشامي(671هـ/715هـ): ولد بغرناطة، أخذ القراءات السبع عن أبي جعفر بن الزبير والموطأ برواية يحي بن يحيى عن عبد الله الطائي، قدم القاهرة سنة 700ثم توجه إلى الحجاز فسمع بالمدينة من أبي القاسم خلف القتبوري كتاب الشفا للقاضي عياض ومن عبد الله بن مُحَمَّد الكمال الغرناطي الشاطبية، وذكر البرازلي أنه أقام بالحرمين نحو خمسة عشر سنة معظم إقامته بالمدينة،كان بارعا في المذهبين المالكي والشافعي، عارفا بالنحو وعلم الفلك ذكره ابن فرحون في كتابه «نصيحة المشاور»فقال:كان من كبار الأولياء وأنه قرأ عليه الفرائض والحساب[2].

وممن تناول علم الحساب والفلك بالمدينة أيضا نجد أبو الغمر الطنجي المغربي توفي سنة718هـ، و علي بن فرعوص التلمساني توفي سنة 738هـ.[3]

1.علم الطب والكيمياء والصيدلة:

عرف ابن خلدون الطب بقوله: "صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية..."[4]

[1]- ابن فرحون، المصدر السابق،ص244،243.

[2]-التقي الفاسي، العقد الثمين ،ج4، ص164

[3]-ابن فرحون ،تاريخ المدينة ،ص115

[4]- ابن خلدون،المقدمة،المصدر السابق،ص493.

أمـا علـم الكيميـاء فهـو العلـم الـذي يبحـث في دراسـة المـواد مـن حيـث تركيبهـا و خواصـها وتفاعلاتهـا مـع بعضـها لإنتـاج مـواد جديـدة[1], لـذلك فـإن للكيميـاء دورًا أساسـيًا في مجـال الطـب حيـث يـتم تصـنيع معظـم العقـاقير المسـتخدمة للعـلاج أو الوقايـة مـن الأمـراض باستخدام مواد كيميائية...

كمـا أن الصـيدلة[2] هـي علـم يبحـث في تمييـز المتشـابهات بـين أشـكال النبـاتات مـن حيـث أماكنهـا ومواسـم نموهـا وكـذلك تميـز الجيـد مـن الـرديء ومعرفـة خواصـها[3]، وهـو بضـرورة تابـع للعلـوم الطبيـة، وكـان للمغاربـة دور مهـم في العلـوم الصـيدلانية، فكـان لبعضـهم دور السـبق في إكتشاف العديد من المواد الدوائية لم تكن معروفة من قبل.

و لقـد عـرف العـرب الطبابـة قبـل الإسـلام إلا أنهـا تطـورت تطـوراً بارزاً مـع ظهـور الإسـلام ونشـأة الـدول العربيـة الإسـلامية، وإن العـرب والمسـلمين إهتمـوا بالطـب إلى جانـب إهتمـامهم البالغ بلغتهم ومعرفة أحكام شريعتهم [4].

ومـن الجـدير بالـذكر إن الممـارس لمهنـة الطـب يخضـع لامتحـان و مراقبـة مسـتمرين لإثبـات كفاءتـه، وفي حالـة نجاحـه في الامتحـان تقـع عليـه المسـؤولية إن هـو أخطـأ في تشـخيص المـرض أو وصـف دواء غـير مناسـب [5]، لـذلك وضـعت شـروط صـارمة علـى مـن يـزاول مهنـة الطـب نظرا لأهميتها وخطورة الخطأ فيها.

وقـد اتخـذ المجـال الطـبي مكانـة مرموقـة في المـدة الـتي نحـن بصـدد دراسـتها (6-7هـ/12-13م) ولاسـيما أن كـل مـن الحكـام مـن الأيـوبيين، والمماليـك كـانوا قـد احتضـنوا الأطبـاء وقـدموا لهـم الـدعم الـذي يسـتحقونه مـن أجـل تحفيـزهم علـى البقـاء واحتـواءهم حـتى لا يغـادروا بلاد المشرق.

---

[1]-أحمد بن مصطفي، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،ط 1،ج 1، ص 348-

[2]-الصيدلة: دكان الصيدلي وكان يطلق عليه اسم الأجزوخانة ،(ينظر معجم لسان العرب ، ابن منظور)

[3]- خالدي روحي،الكيمياء عند العرب،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة مصر،2012،ص9 ،ص18.

[4]- عمر فروج،تاريخ الأدب العربي،دار العلم الملايين،بيروت، ج03،ص464 .

[5]- عبد الله العمري،تاريخ العلم عند العرب،دار مجد لاوي،عمان، 1980م،ص 87.

ونظرا لأهمية علم الطب فقد برز العديد من الأطباء المغاربة ببلاد المشرق وسطع نجمهم فيها إلا أنه لم تحدد لنا المصادر أطباء مغاربة جاوروا بالمدينة المنورة ومارسوا مهنة الطب بها ربما لكثرة تنقلهم أو لحاجة الحكام والسلاطين إليهم فقربوهم من الحواضر الإسلامية كالقاهرة وبغداد ودمشق وغيرهم من المدن التي كانت مقرا للسلاطين .

ذكر ابن فرحون في كتابه «تاريخ المدينة»عزّ الدين دينار البدري أنه كان مسكنه دار الشرابي بزقاق الخدام وله بها ماريستان[1]، قد جعلها موئلا للإخوان، ومرفقا لكل مرتاد، يعد فيها للمرضى أنواعا من الأمواه والأشربة والأغذية، لا يمرض فقير أو مجاور أو خادم إلا جاءه في الحين، وحمل إليه من كل ما يحتاجه، وكان عطاؤه عطاء السلاطين. ومتى وصف لمريض فقير دواء سعى في تحصيله حتى يأتيه به، ثم إنه لا يزال يطبخ في بيته الأشياء اللطيفة المناسبة، ويحملها بنفسه على يده، لا يستعين بعبده ولا بغلامه. فهذه الشهادة دالة على امتهانه لمهنة الطب والصيدلة في آن واحد(ت: 734 هـ / 1333م)[2].

1.علم التاريخ والسير:

يقول ابن خلدون عن التاريخ " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم وأخلاقهم، والأنبياء وسيرهم، والملوك ودولهم، وسياستهم"[3].

ويضيف زريق قسطنطين في هذا المعنى أن التاريخ يقوم على صناعة معينة، ولهذه الصناعة قواعدها وضوابطها وشروطها، وأنها توشك أن تكون أكثر الصناعات العقلية مطالب وأثقلها تكاليف، فهي تقتضي معارف متصلة بشتى العلوم والآداب والفنون وأسلوبا في التحقيق والتدقيق..."[4] والتاريخ أيضا التعريف بالوقت الذي به تضبط الأحوال فهو العلم

---

[1] – الماريستان:مستشفى لمعالجة المرضى توفير إقامتهم.أحمد عيسى،تاريخ البيمارستانات في الإسلام،ص04

[2] – السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،دار جيل، بيروت ،ط1 ،1992/1432ج03،ص 158

[3] – ابن خلدون المقدمة، المصدر السابق، ج 1، ص 13 زينب مُحَّد الخضيري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ،2006 ص 54.

[4] – رزيق قسطنطين: نحن والتاريخ مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط، 1959، ص 8

الـــذي يتضـــمن ذكـــر الوقـــائع وأوقاتهـــا وأســـاليبها ومظـــاهر الحضـــارة وازدهارهـــا وعوامـــل انهيارهـــا إذن فموضوعه الإنسان والزمان.

وقـــد اغتـــنم العلمـــاء المغاربـــة فرصـــة وجـــودهم بالمشـــرق فعكفـــوا علـــى تصـــنيف بعـــض الكتـــب في مجـــال التـــاريخ، وتحـــدثوا عـــن تاريـــخ المغـــرب؛ ولعـــل غـــايتهم كانـــت تهـــدف إلى التعريـــف بتـــاريخ بلـــدهم الأصـــلي المغـــرب والأنـــدلس مـــن جميـــع جوانبـــه أو كتابتـــه بعيـــدا عـــن حكـــام بلـــدانهم تجنبـــا لأي مضـــايقة محتملـــة قـــد تصـــدر مـــن قبـــل هـــؤلاء الحكـــام، وبغيـــة الالتـــزام بالموضـــوعية والحيـــاد في ذكر أحداث التاريخ.

و إن المتأمـــل في المؤلفـــات المغربيـــة خـــلال هـــذه الفـــترة يجـــد أن المدينـــة المنـــورة لم تنـــل نصـــيبها في الكتابـــة مـــن المـــؤرّخين المغاربـــة بالقـــدر الـــذي نالتـــه مكـــة المكرمـــة وقـــد يعـــود هـــذا الأمـــر إلى رغبـــة علمـــاء المغاربـــة في المجـــاورة بمكـــة وتفضـــيلها علـــى المدينـــة لمـــا لهـــا مـــن فضـــل في الـــدين الإســـلامي فكانـــت لمجـــاورتهم بمكـــة أثـــر علـــى كتـــاباتهم التاريخيـــة أو ربمـــا هـــذا راجـــع إلى إنتشـــار بـــدع وفـــتن الشـــيعة بالمدينـــة المنـــورة فتجنبـــوا الـــتكلم عنهـــا ســـدا للـــذرائع وخوفـــا مـــن انتشـــارها في العـــالم الإسلامي .

لكـــن هـــذا لا يعـــني أن العلمـــاء المغاربـــة الغـــير مجـــاورين بالمدينـــة المنـــورة لم يكتبـــوا عنهـــا فهـــذا رزيـــن بـــن معاويـــة المعـــروف باســـم أبـــو الحســـن العبـــدري السرقســـطي الأندلســـي (ت: 525 هـــ / 1130 م) المحـــدث الشـــهير والمـــؤرخ الـــذي كـــان مـــن الســـباقين للتـــأريخ للحجـــاز حيـــث كتـــب عـــن تاريـــخ مكـــة كتـــابا، وعـــن المدينـــة أيضـــا ألـــف كتـــابا سمـــاه "عـــروة التوثيـــق في النـــار و الحريـــق "[1] ســـنة 654هـ دون فيـــه الحريـــق الـــذي شـــب بالمســـجد النبـــوي فكـــان إن صـــحت العبـــارة أول المغاربة تدوينا لتاريخ الحجاز .

ومـــن المغاربـــة القلائـــل المجـــاورين ممـــن درســـوا وســـاهموا في خدمـــة علـــم التـــاريخ بالمدينـــة المنـــورة خلـــف بـــن عبـــد العزيـــز الغـــافقي القَبْتُـــوري (615هـ/704هـ)حيـــث أشـــار تلميـــذه ابـــن رشـــيد الســـبتي إلى

[1] – مُحَمَّد الحبيب الهيلة،التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر،مؤسسة الفرقان للتراث العربي،مكة المكرمة،ط01، 1994،ص35،34.

مزاولته لعلم التاريخ حينما وصفه بـ"شيخ الكتاب، وخاتمة أهل الآداب"[1]، ومن المؤرخين المغاربة أيضا بالمدينة المنورة نجد:

علي بن مُحَمَّد ابن أبي القاسم فرحون بن مُحَمَّد بن فرحون نور الدين أبو الحسن اليعمري التونسي المدن (698- 746هـ):

هو أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن أبي القاسم بن مُحَمَّد بن فرحون نور الدين اليعمري التونسي الأصل المدني المولد والمنشأ مالكي المذهب الإمام الفقيه العالم بفنون العلم العارف بالحديث وأسماء رجاله المسند الرحال، قرأ القرآن على الشيخ أبي عبد الله القصري وعلى الشيخ إبراهيم المسروري وأخذ العلم عن أئمة من أهل المشرق والمغرب ممن يكثر تعدادهم، صاحب كتاب "تواريخ والتعريف بنسب النبي المختار"[2]، ويوجد أيضا عبد الله البدر بن فرحون صاحب كتاب تاريخ المدينة المنورة أو نصيحة المشاور وأنس المجاور[3].وقد اطلعنا على هذا الكتاب حيث يعتبر من أهم المصادر التي تكلمت عن علماء المدينة المنورة لاسيما منهم المغاربة المجاورين .

1. اللغة والأدب:

يرى ابن خلدون أن مصطلح علوم اللسان العربي يدل على العلوم الأدبية ويحصرها في أربعة أركان على التوالي اللغة النحو البيان والأدب فالإحاطة بها ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، أو هي العلوم التي تتصل بالعربية وهي اللغة والنحو والأدب و ما يتفرع عنها من علوم كالصرف والبلاغة والبيان .[4]

وقد زاد الاهتمام بالعلوم اللسانية خلال القرن السادس والسابع هجري فازدهرت دراستها، وتعددت مواضيعها وأصبحت هذه العلوم شائعة، بل وبلغت غاية كبرى في هذا

[1]-مُحَمَّد الحبيب الهيلة،التاريخ والمؤرخون بالمدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر هجري ،مركز البحوث والدراسات،المدينة المنورة،السعودية،1436،ص85

[2]- إبراهيم ابن فرحون،الديباج المذهب،المصدر السابق،ج02، 125.

[3]- ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة، ص243.

[4]- إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 597.

العهد فحسب المصادر التاريخية ولاسيما المشرقية أنها كانت تعج بكبار الأدباء واللغويين في كل البلدان وحواضر المشرق الإسلامي كالحجاز والشام والعراق وخاصة مصر، ولكن رغم كثرة أهل الاختصاص في هذا المجال إلا أن العلماء المغاربة كانوا متذوقين بالعلوم الأدبية أو ما يعرف بالعلوم اللسانية.

ولقد زخرت المدينة المنورة بنخبة من الأدباء المغاربة والأندلسيين كانت لهم اهتمامات مختلفة ومتعددة فتنوعت أغراض الشعرية والنثرية لديهم من مدح ورثاء وحكم وغيرها فأسهموا بملكتهم الشعرية والقريحة لغوية في إثراء التراث الشعري والأدبي بالمدينة ولعلنا ذكرنا العديد من الأدباء المغاربة ممن برزوا في هذا المجال في عدة مواضع سابقة كابن فرحون عميد أسرة آل فرحون وغيره من العلماء الذي سبق ذكرهم كان جلهم أدباء إضافة إلى هؤلاء نجد:

أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن مُحَمَّد (ت675هـ):

المقرئ التونسي والأديب قال خالد البلوي كان من الأولياء والعلماء الزهاد الشيخ العالم الولي[1] ويحكي عنه ابن رشد السبتي أنه كانت له سرعة نظم لم ينته إليها أحد في زمانه وحين استقبلا الروضة الشريفة طلب ابن رشد من الأديب الشاعر أبي الحسن أن ينشد شيئا عن المصطفى ﷺ فقال[2]:

أقولُ إذا ما نحنُ صِرْنَا بِطَيْبَةٍ نَزَلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ بِالمَنْزِلِ الرَّحْبِ

نزلنا على أكرم الخلق كلهم. قِرانَا عَلَيْهِ اليَومَ مَغْفِرَةِ الذَّنْبِ.

[1]-احمد التنبكتي ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،دار الكاتب ،ليبيا طرابلس ،ط2، 2000م،ص327.

[2]- ابن رشد،ملء العيبة ،ج05،ص274.

3.علم المنطق :

نقصد بعلم المنطق هنا هو العلم بمجموعة القوانين التي إذا راعاها الإنسان سلم من الغلط في الوصول إلى النتائج[1]، وفي هذا الصدد سنحاول إلقاء نظرة على مجموعة من علمائنا المغاربة المناطقة ممن كان لهم إسهام في خدمة هذا العلم بالمدينة المنورة ولكن لابد أن نشير إلى حقيقة مهمة وهي أنه خلال فترة الدراسة لم يعرف المنطق أو الفلسفة بشكل عام أي اهتمام من الجانب المغربي هذا لهيمنة الفقهاء على مجتمع المرابطين وكان في حرق كتب الغزالي مظهرا يوحي برفضهم له، فلم يجد المنطق والفلسفة تأييدا من المرابطين وان المتفق عليه أن هذا النوع من العلوم لم يعرف نهضة حقيقية ومتواصلة إلا في عهد الموحدين[2], فقد جاء ابن تومرت يدعو إلى التحرر الفكري ومحاربة الجمود العقلي وكان له الأثر الكبير في جعل علم المنطقة يتوسع أكثر بالغرب الإسلامي خصوصا بعدما وجد أصحاب هذا الفن الدعم والمساندة من قبل بعض الخلفاء[3].

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن فترة الموحدين كانت البداية الأولى من نوعها لاهتمام المغاربة بهذه العلوم العقلية لعل هذا ما يبرر لنا قلة عدد العلماء المغاربة الذين كان لهم نشاط في هذا المجال العلمي خلال الحقبة الزمنية المدروسة، إضافة إلى ذلك اهتمام علماء المدينة بالعلوم الدينية وإهمالهم للعلوم العقلية ما جعل مثل هذه العلوم بضاعة كاسدة غير مرغوب فيها كما نضيف لما تقدم ذكره امتناع الآباء من الإذن لأبنائهم في طلب علوم المنطق والفلسفة خوفا عليهم من الزيغ .

مع ذلك وعلى قلة مشاركة علماء المغاربة في هاته العلوم إلا أننا وجدنا فئة قليلة جادت بها كتب التراجم والمصادر التاريخية ممن اثبتوا حضورهم ونباغتهم في هذا الاختصاص نذكر منهم :

---

[1]-ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ، ص580.

[2]-مُحَمَّد المنوني ،العلوم والادب والفنون على عهد الموحدين،دار المغرب للتأليف والنشر ،الرباط ،ط2، ص69

[3]-شارل اندري جوليان ،تاريخ افريقيا الشمالية ،تع مُحَمَّد مزالي ،الدار التونسية للنشر ،ص 163.

أبو مُحَمَّد بن حجاج المغربي المشهور بمكشوف الرأس(ت680هـ)[1]:

ذكره السخاوي أنه كان عالما متكلما متمكنا من علم المنطق والهندسة، جمع كتبا مشتملة على عدة تصانيف من منطق وطب[2] وحديث وتفسير قل من يفهمها من أهل المدينة[3]، وقال ابن فرحون إنه كان من الشيوخ المعدودين في زمانهم من العلماء والحكماء المجدين المطلعين على علوم الأولين من حكمة ومنطق وهندسة وفلسفة خيرا منقطعا للمجاورة مشغولا بنفسه،كما أسهم مُحَمَّد بن أحمد أبو عبد الله التلمساني(741هـ) كثيرا في هذا المجال حتى قال عنه يحي ابن خلدون "لا يعزب عن علمه فن عقلي إلا وقد أحاط به "[4]وقد ألف أبو عبد الله رجزا في المنطق كان كثير المعرفة بسير الأعلام من الفقهاء والصالحين، وبمذاهب الصوفية وإشاراتهم.

ومن علماء المغرب من ناظر علماء المشرق وبرع في هذه المناظرات من أمثال المتكلم الفقيه أبو عبد الله مُحَمَّد المعروف بابن مغايظ (ت621هـ / 1224 م)، وأبو الحسن الحرّالي (ت 637 هـ/1237 م).

4.علم التصوف:

بالنسبة لمنهج التصوف وبالرغم مما كان عليه الحجاز عموما والحرمين الشريفين خصوصا من تأثر بمنهج الزهاد والصوفية إلا أن المدينة المنورة لم تنل حظها من العلماء الصوفية بمقدار ما نالته مكة المكرمة خلال فترة دراستنا ولم نجد لهذا سببا يبرر لنا ذلك وقد يكون مرده إلى نفس الأسباب السالف ذكرها فيما يخص علم المنطق ويعني التصوف كسلوك حسب ما

[1]عادل نويهض ، المصدر السابق،ج1 ، ص119.

[2]-السخاوي ،التحفة اللطيفة ،ص310.

[3]السخاوي ،التحفة اللطيفة،ص 310

[4]- يحي إبن خلدون،بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،تح عبد الحميد حاجيات،إصدار المكتبة الوطنية الجزائر،1400هـ،ج01،ص57.

أورده ابن خلدون هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه.[1]

أما التصوف كمنهج فهو الذي يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بمقدار الطاقة البشرية.[2]وفي هذا المجال من العلوم انقسم العلماء المغاربة إلى فئتين: فئة اتخذت من الأربطة المجاورة للمسجد النبوي مسكنا لمرابطتها، وفضلت الجوار، وانحصر نشاطهم في التعبد فقط كالشيخ مُحَمَّد ابن فرحون عميد أسرة آل فرحون.

وفئة ثانية اهتمت بنشر تصوّفها، مع مساهمتها في إلباس خرق التصوّف لمريدِيهِم والمتأثرين بمنهجهم مثل أحمد بن علي القسطلاني – والد القطب مُحَمَّد(ت: 636 هـ / 1238 م)، الذي صحب جماعة من مشايخ الطرق كأبي الربيع سليمان المالقي، وتلميذه أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم القرشي، وجمع في أخبارهما كتابا حدث به، ومما يدل على زهده ما ذكره عفيف الدين اليافعي من أنّهم احتاجوا في المدينة النبوية إلى الاستسقاء وكان مجاورا بها، فاتفقوا على استسقاء أهلها يوما والمجاورين يوما، فبدأ أهل المدينة فلم يسقوا، فعمل أحمد القسطلاني طعاما كثيرا للضعفاء والمساكين واستسقى مع المجاورين، فَسُقُوا بفضل الله. زيادة على ذلك فقد أثر عنه أنه كان يعول ثمانين فقيرا كل يوم، وهذا ما نعرفه عن الزهاد في استغنائهم عن الدنيا وزخرفها ومتاعها.

لقن الشيخ القسطلاني التصوف على يد والده، ثمّ من بعده الشهاب علي بن البناء السهروردي الذي أَلْبَسَه خرقة التصوّف، ثمّ إنّنا نجده بدوره يورّث ما كان يحمله من تصوف لطلبة علمه، فسمعوا منه كتاب "العوارف" للسهروردي ، ولبسوا بدورهم عنه الخرقة.[3]

[1]–ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص117

[2]–الصديق بن الحسن القنوجي ،ابجد العلوم والسحاب المرقوم الممطر بانواع واصناف العلوم ،تح عبد الجبار زكار ،منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق،ط2، 1978،ج2،ص152.

[3]– السخاوي، التحفة اللطيفة،ج 01،ص 55،ص 122.

ونذكر أيضا العالم الرباني أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد أبي الفضل السلمي المرسي الأندلسي (570هـ/655هـ): العالم الفقيه الزاهد جاور بالحرمين الشريفين وزار العديد من الحواضر العلمية في المشرق كان من أعلام التصوف في القرن السابع، برع في علم التفسير والحديث والنحو والأدب[1] قال عنه الذهبي: "الإمام العلامة البار القدوة ذو الفنون كان متضلعا بالعلم جيد الفهم متين الديانة وكان من أعيان العلماء ذا معارف متعددة وله مصنفات مفيدة "إلا أنه لم يطل المكوث بالمدينة ونجد أيضا يحيى بن مُحَمَّد التجيبي التلمساني الصوفي (ت 652هـ)العالم الفقيه والإمام الواعظ رحل إلى المشرق حج وجاور وأخذ العلم عن أبي الحسن بن البنا كان مصنفا بارعا في التفسير والرقائق الصوفية[2].

ومن الملاحظ في هذا الجانب أنّ علماء المغرب الإسلامي في الحجاز خلال حقبة الدراسة لم يولوا اهتماما كبيرا بعلوم العقليات بالمدينة، ما نتج عنه شح علمي في إنتاجهم مقارنة بعلوم الشريعة، ضف إلى ذلك وكما أشرنا سابقا فإنه لم يشتهر الكثير من العلماء المغاربة المجاورين بعلم الكلام والفلسفة و العلوم العقلية الأخرى بالمدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع هجري.

[1]-االزركلي ، الاعلام ،ج6 ،ص233 لذهبي ،المصدر السابق ،ج16،ص458-461.

[2]-عادل نويهض ،معجم أعلام الجزائر ،نويهض الثقافية،بيروت ،لبنان،ط2(1402هـ/1980م)،ج1، ص 83.

الخاتمة

خاتمة:

في نهاية هذا الموضوع الذي حاولنا من خلاله إبراز الإسهام العلمي لعلماء الغرب الإسلامي في تنشيط الحياة العلمية في الفترة الممتدة بين 7/6 هجري و 13/12ميلادي توصلنا إلى جملة من النتائج نذكر منها ما يلي :

حرص المغاربة على تحصيل العلوم الدينية من منبعها الأول وهو المدينة خصوصا أنَّ المغاربة كانوا يتمذهبون بمذهب أهل المدينة المذهب المالكي،ضف إلى ذلك أن الظروف العامة التي كان يعيش فيها المغاربة رغم محامدها لم تكن كافية وملائمة لتحقيق طموح طلبة العلم وإشباع فضولهم خاصة في مجال العلوم الدينية (النقلية) لذلك كانوا دائما يرغبون في طلبها من بلاد الحجاز عموما والمدينة المنورة خصوصا .

لا حظنا زيادة عدد الرحلات العلمية من المغرب إلى المشرق أثناء القرنين السادس والسابع هجري وذلك بسبب تشجيع الخلفاء الموحدين على الرحلة من أجل طلب العلم وقدوتهم في ذلك المهدي بن تومرت.

استخلصنا من خلال البحث أن مشقة السفر وبعد المسافة ومخاطر الطريق وصعوبتها لم يقف حاجزا أمام همة العلماء ورغبتهم في تحصيل العلم وقد تصدرت مراكز بلاد الحرمين المراكز العلمية المشرقية التي كان يقصدها علماء المغرب باعتبارهما منزل الوحي وموطن الصحابة والتابعين.

أشارت بعض المصادر والمراجع المصادر والمراجع المختصة أن العلماء المغاربة وجدوا اهتماما بالغا ورعاية شاملة منقطعة النظير من قبل سلاطين دول المشرق،فقد أحسنوا إليهم وأنزلوهم المنازل التي يستحقونها ووفروا لهم الإمكانيات اللازمة من سكن وإطعام مما ساعدهم على المساهمة في نقل العلم والمعرفة بين دول العالم الإسلامي.

أثبت البحث مشاركة علمائنا المغاربة في الكثير من المجالات العلمية بالمدينة المنورة ،وسجلوا حضورهم في الكثير من الوظائف ،حيث قاموا بتدريس القرآن الكريم والتفسير والحديث،وكذلك الفقه وأصوله والنحو والبلاغة وبرعوا في كل تلك العلوم،كما إجتهدوا في تصنيف الكتب وتأليفها ونسخها ،فتراجم العلماء المغاربة لا تكاد تخلوا من مصنف أو

أكثر لعالم مغربي في شتى الميادين كالفقه والتاريخ والحساب والفلك وغيرها،فتركوا بذلك موروثا ثقافيا وشهرة واسعة في حواضر المشرق.

-من النتائج التي توصلنا إليها أيضا شغف المغاربة بتأليف وتدوين مشاهداتهم بوصفهم المناطق والمدن خاصة التي نزلوا بها أثناء رحلاتهم من الشرق إلى الغرب ،فكان لهم بذلك دور مهم وفعال في التاريخ الإسلامي ،إذ تعد كتب الرحلات المغربية من أهم المصادر التاريخية للبلدان فهي بمثابة وثائق تؤرخ لبعض تاريخ المسلمين الحضاري.

-كان للمغاربة الدور الفعال في جميع الجوانب الدينة والإجتماعية،حيث ساهموا في إعادة نشر المذهب المالكي وحاربوا بدع الشيعة و استطاعوا كسر شوكتهم وذلك حينما تم توليتهم من طرف سلاطين المماليك وظائف ومناصب هامة في المجتمع المدني كالقضاء والإمامة.

-لاحظنا أثناء البحث صعوبة وضع عالم من العلماء المغاربة في تخصص علمي معين حيث كان العالم الواحد يتقن الخوض في العديد من أصناف العلوم كالقراءات والفقه والحديث واللغة والحساب والتفسير ،فعرفت بذلك ظاهرة العلماء الموسوعيين إنتشارا واسعا خلال تلك الفترة ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين شملتهم دراستنا :أبو عبد الله بن فرحون التونسي وبن مغايظ وخلف بن عبد العزيز الغافقي وغيرهم كثير.

-حفظت لنا كتب تراجم الرجال،أسماء الكثير من علمائنا المغاربة الذين جاوروا بالحرمين الشريفين وكانت لهم إسهامات بارزة في تنشيط الحركة العلمية بالمدينة المنورة في مختلف أصناف العلوم(العقلية-النقلية)،كما كان لهم علاقة تأثير وتأثر بعلماء المشرق وذلك من خلال أخذ العلم عنهم أو إسماعه لهم ،وكذا تأليفهم الكتب ونسخها ،ووقفها أحيانا بمكتبات المدينة.

ولعل أبرز إستنتاج يمكن صياغته تبعا لهذا العمل أنه لا يزال أمامنا عدة بحوث متواصلة وجدية حتى نكون دراسة متكاملة عن علماء الغرب الإسلامي وإسهاماتهم في تنشيط الحياة العلمية بالمدينة المنورة.

.

الكتب:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر:

- ابن الآبار أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي التكملة لكتاب الصلة عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1995.
- ابن الأثير عزالدين أبي الحسن ،الكامل في التاريخ،تح أبو صهيب الكرمي ،دار الكتاب العربي بيروت،ط02-1967.
- ابن جبير ابو الحسن مُحَمَّد بن احمد الكناني الاندلسي، الرحلة، نشر دار صادر، بيروت، 1964.
- إبن العربي محي الدين، ديوان ابن العربي، شرح أحمد حسن، بيروت لبنان
- إبن خلدون عبد الرحمان ،كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ضب خليل شحادة،مر سهيل زكار،دار الفكر ،لبنان،1421،هـ-2000م.
- إبن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، إصدار المكتبة الوطنية الجزائر، 1400هـ.
- ابن دقماق : إبراهيم مُحَمَّد المصري (ت ٨٠٩هـ)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ط 1893م.
- ابن رشيد ابو عبد الله مُحَمَّد بن عامر الفهري السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة، تح مُحَمَّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988.
- ابن فرحون إبراهيم، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تح حمزة ابو فارس، دار الغرب الاسلامي بيروت.
- إبن فرحون أبو عبد الله(ت 769)، تاريخ المدينة المنورة المسمى بنصيحة المشاور وتعزية المجاور، تح حسين مُحَمَّد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الارقم لبنان

- ابن فرحون عبد الله ،تاريخ المدينة المنورة المسمى بنصيحة المشاور وتعزية المجاور،تح مُحَّد علي شكري ،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
- ابن ماجه، سنن ابن ماجه،تح فيصل عيسى البابي الحلبي دار احياء الكتب العربية.
- ابن مرزوق مُحَّد التلمساني، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن الشاذلي، تح ماريا خيسوس 1981، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع .
- الأندلسي لسان الدين إبن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح مُحَّد عبد الله عدنان، مكتبة الخانجي، القاهرة1974.
- البخاري مُحَّد بن سماعيل، صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
- البغدادي إسماعيل باشا هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، مج 01، طبعة لبنان.
- بن صلاح أبو عمر عثمان،مقدمة علوم الحديث،تح نوردين عتر.
- بن عساكر ابو القاسم علي، تاريخ مدينة دمشق، تح محب الدين ابي سعيد عمر العمراوي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- بن مرزوق أبو عبد الله مُحَّد، المناقب المرزوقية، تح سلوى الزاهري، وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية المملكة المغربية، ط1، 1429هـ/2008م.
- التنبكتي أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح عبد الحميد الهرامة، دار الكتاب طرابلس، 2000.
- التنوخي أبوالفضل بن عيسى، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، دار الكتب العلمية، منشورات مُحَّد علي بيضون، بيروت، ط2، 1426هـ.
- الجوهري إسماعيل، الصحاح، تح: زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة.
- الحاكم ابو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.

- الحشائشي مُحَّد بن عثمان، الدر الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين، المطبعة العصرية، تونس.
- الخطيب أبو بكر أحمد، الرحلة في طلب الحديث، تح نوردين بن عتر.
- الخطيب لسان الدين الاندلسي، كناسة الدكان بعد إنتقال السكان، تح كمال شبانة، الثقافة القاهرة، 2003.
- الذهبي شمس الدين ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الاعلام،تح بشار عواد معروف،دار الغرب الاسلامي،بيروت لبنان ،ط1، 1424هـ/ 2003م.
- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة ،ط1413هـ/م1992.
- الزركشي أبو عبد الله، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح مُحَّد ماضو، المكتبة العتيقة، تونس1963.
- الزركلي خير الدين بن محمود ،الأعلام،دار العلم بيروت .
- السخاوي شمس الدين ،التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،تح اعد الطرابزوني الحسيني ،ط1399هـ/1979م.
- السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،دار جيل، بيروت ،ط1 ،1992/1432.
- السمعاني عبد الكريم ،الأنساب،تح عبد الرحمان بن يحى اليماني ،دائرة المعارف العثمانية آباد الهند،ط الأولى،1382هـ.
- السيوطي عبد الرحمان –تدريب الراوي في شرح تقريب النووي–تح عبد الوهاب عبد اللطيف–ط02– 1966–مصر.
- الشاطبي القاسم بن فيره، متن الشاطبية المسمى بحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع –تح مُحَّد تميم الزعبي، ط05، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق2010.
- الشافعي مُحَّد بن إدريس، ديوان الشافعي، تح مُحَّد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية ،الأزهر،القاهرة.

- الشامي صلاح الدين، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية،منشاة المعارف،الإسكندرية،1989م.
- الطرطوشي مُحَمَّد بن الوليد الفهري، سراج الملوك، مصر.
- عبد الله بن مريم،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،تح مُحَمَّد بن أبي شنب،نشر عبد الرحمان طااب–ديوان المطبوعة الجزائر–1986.
- العبدري مُحَمَّد بن مُحَمَّد، رحلة العبدري، تح إبراهيم الكردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق سوريا، ط2005 .
- عنتر نوردين، علوم القرءان الكريم، مطبعة الصباح دمشق، ط1، 1414/ 1993.
- الفاسي تقي الدين ،العقد الثمين في معرفة تاريخ البلد الامين ،تح مُحَمَّد حامد الفقي،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 1993.
- الفاسي علي بن أبي زرع،الأ نيس المطرب، طبعة دار المنصور بالرباط1972.
- قسطنطين رزيق: نحن والتاريخ مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط، 1959.
- القلقشندي ابي العباس احمد، صبح الاعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- القنوجي الصديق بن الحسن ،ابجد العلوم والسحاب المرقوم الممطر بانواع واصناف العلوم ،تح عبد الجبار زكار ،منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق،ط2، 1978.
- الكتاني مُحَمَّد عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، تح عبد الله خالدي، شركة الارقم بن الارقم، بيروت لبنان.
- م ابن حوقل حمد بن علي أبي القاسم – سورة الأرض– مكتبة الحياة للطباعة والنشر–1938.
- مُحَمَّد عنتر مؤنس الجغرافيين والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين الدراسات وبحوث العلوم الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ط الأولى،1995 .

- مُحَمَّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003.
- المراكشي ابو العباس احمد بن مُحَمَّد بن عذارى، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس ط 1، 1423هـ/2013.
- المراكشي أبو عبد الله، الذيل والتكملة، تح احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، تونس.
- المراكشي عبد الواحد –المعجب في تلخيص أخبار المغرب–تح مُحَمَّد سعيد العريان–دار الطبع الإستقامة القاهرة–ط1–1949.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسباوري، صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- المقري شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد التلمساني ،نفح الطيب من غصن الأندلس،تح إحسان عباس،دار صادر بيروت.
- المقريزي تقي الدين ،السلوك لمعرفة الملوك،تح مُحَمَّد عبد الجبار عطا ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ،1418هـ/1997.
- المقريزي، الخطط المقريزية،المكتب الثقافية الدينية،القاهرة ،ط2، 1987.
- المكناسي أحمد بن مُحَمَّد، درة الحجال في أسماء الرجال، تح مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، مكتبة التراث القاهرة.
- المكناسي مُحَمَّد بن عثمان، مقدمة الإكسير في فكاك الأسير، تح مُحَمَّد الفاسي، لمركز الجامعي البحث العلمي، الرباط، المغرب، 1965.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ،نهاية الإرب في فنون الأدب،تح عبد المجيد ترحيني،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان.
- نويهض عادل ،معجم أعلام الجزائر ،نويهض الثقافية،بيروت ،لبنان،ط2(1402هـ/1980م).

قائمة المراجع:

- ابتسام المرعى خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والشرق الإسلامي، دار المعارف الإسكندرية، 1405هـ.
- العدوي ابراهيم عبد الرحمان، إبن بطوطة في العلم الإسلامي، دت مصر 1965.
- احمد امين، ضحى الاسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- أحمد بن مصطفي، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- بوذينة أحمد ، أبو الحسن الشاذلي، دار التركي، تونس، 1989.
- أحمد بوشارب، دكالة والاستعمار البرتغالي الي سنة اخلاء أسفي وأزمور، دار الثقافة، 1984.
- أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمين، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخياري احمد ياسين، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا، نادي المدينة المنورة الادبي، ط1، 1410هـ/1990.
- برنامج الغبريني، ملحق في عنوان الدراية في من عرف من علماء في المائة السابعة في بجاية، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1981.
- جمال أحمد طه، مدينة فاس في العصر المرابطي والموحدي، دار الوفاء الأسكندرية.
- الشاهدي الحسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، دار عكاظ المغرب، 1995.
- حسن فيهم أدب الرحلات، الكويت، د ت مجلس الأعلى للثقافة والقنون الأدبية.
- حسن مُحَّد زكي، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار زايد العربي بيروت.
- خالدي روحي، الكيمياء عند العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012.
- زينب مُحَّد الخضيري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2006 .
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية لتوزيع، 1981.

- عاشور سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1996.
- سمير ساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- جوليان شارل اندري، تاريخ افريقيا الشمالية، تع مُحَمَّد مزالي، الدار التونسية للنشر .
- شقرون مُحَمَّد بن أحمد مظاهر الثقافة المغربية، في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، مطبعة الرسالة الرباط، 1982.
- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف.
- عبد الباسط عبد الرزاق، المدينة المنورة في عهد الزنكيين والايوبيين والمماليك، دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.
- عبد العزيز عبد الله، تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث، بيروت، د.ت. دار لسان العرب .
- النعيمي عبد القادر بن مُحَمَّد، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1990.
- العمري عبد الله، تاريخ العلم عند العرب، دار مجد لاوي، عمان، 1980م.
- خلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط، 1996
- عقيلة غناة، سقوط دولة الموحدين، دار الكتاب ليبيا، ط2-2009.
- الكردي علي إبراهيم أدب الرحلة في المغرب والاندلس، مكتبة الأسد، دمشق، 2013.
- أبو الفضل عمر، رحلات بن جبير، وثائق تاريخية وجغرافية في اللغة والأدب، القاهرة .
- فروج عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم الملايين، بيروت.
- قنديل فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 2002.

- الهيلة مُحَمَّد الحبيب، التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر، مؤسسة الفرقان للتراث العربي، مكة المكرمة، ط01، 1994.
- المنوني مُحَمَّد، العلوم والادب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط .
- مُحَمَّد الياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر، المدينة المنورة، ط1، 1999.
- الطمار مُحَمَّد بن عمر، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- الصلابي مُحَمَّد علي، دولة الموحدين، مكتبة حسن العصرية لبنان، ط01، 2009.
- مُحَمَّد علي العبد، نوادر المخطوطات العربية في مكتبات المدينة المنورة، مجلة العرب، ج3، ط3، 1389هـ/1969م.
- مُحَمَّد محمود مُحَمَّدين، الجغرافيية والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي.
- الغاشي مصطفي، الرحلة المغاربية والشرق العثماني، ط، 2012.
- ناجي الامين، رحلات العلماء المغربين وآثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن هجري–دار الكلمة لنشر والتوزيع، ط01، 2016.
- شوابكة نوال عبد الرحمان، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن9هـ، ط01، دار المأمون، عمان .
- ساعاتي يحي محمود، الوقف وبنية المكتبة العربية، ط 2، (1417هـ، 1997م).

الرسالات والمذكرات الجامعية

- احمد علي حسين، المدرسة الشهابية واثرها الحضاري في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الاداب، جامعة القاهرة، فيفري 2016.
- حسين عبد العزيز، الرباط في مكة منذ البدايات وحتى نهايات العصر المملوكي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير بقسم الحضارة والنظم الاسلامية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 1995.

- الجابري خالد حسان الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي(648هـ-923هـ)، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية، إشراف الدكتور سعيد مرزين عسيري، كلية الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1413هـ.

- سحر بنت عبد الرحمان مفتي، أثر الوقف في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة،ط 1، 1424هـ/2003م.

- حجار طارق بن عبد الله، تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد120سنة 1423.

- مديرس عبد الرحمن، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648هـ-963هـ)مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط الأولى، 1422هـ.

- درويش عبد الستار، المحاضرة9، دراسات أولية، قسم تاريخ، كلية الأدب، جامعة الانبار.

- علي مفتاح راشد الهندي، أدب الرحلات، رحلة بن جبير، جامعة الزاوية ليبيا.

- مبحوث البداوية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، رسالة دكتوراه، قسم تاريخ، جامعة تلمسان، 2005.

- الهيلة مُحَمَّد الحبيب، التاريخ والمؤرخون بالمدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر هجري، مركز البحوث والدراسات، المدينة المنورة، السعودية، 1436.

- غرايبة مصطفى، الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي، كلية علجون، مملكة الاردنية الهاشمية.

المجلات والدوريات:

- مريقي حمزة، الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين 3 و4هـ، دراسات تاريخية والأثرية، العدد7.

- قمان كمال، العلماء المغاربة والأندلسيون المجاورين بالحرمين الشريفين ،مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مجلد 7، العدد 2، السنة 2023.

- زلماط الياس، خدمة المغاربة للمذهب المالكي من خلال المؤسسات التعليمية في بلاد الحجاز، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مجلد 7، العدد 2، سنة 2023.

مواقع الأنترنت:

- الكتاتيب عندالمسلمين،7 /22. islamweb.net.2008

القواميس:

- إبن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، مج11، ط02، 1414هـ، 1994م .
- أبو حسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام مُحَمَّد هارون، ج1، ط2، مادة رحل، دار الفكر، سوريا، 1979.
- البستاني بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.
- الأسيل راتب أحمد قيعة، قاموس العربي الوسيط، هيئة الأبحاث والترجمة، دار راتب الجامعية، بيروت، مج11.
- الحموي شهاب الدين ياقوت، معجم الأدباء، المعارف العمومية بمصر، مطبوعات دار مامون.
- أبادي مجد الدين فيروز، قاموس المحيط، تح مُحَمَّد نعيم عرق سوسي، ط8، الرسالة، لبنان2005.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الاهداء	
قائمة المختصرات	
المقدمة	أ
الفصل التمهيدي	
الأوضاع العلمية في المدينة المنورة من خلال مؤسساتها العلمية القرن السادس والسابع هجري	1
المسجد النبوي الشريف	2
المدارس والأربطة	4
الكتاتيب	8
المكتبات	9
الفصل الأول رحلات المغاربة إلى بلاد الحجاز ودورها في التواصلا لعلمي بين الغرب الإسلامي والمدينة المنورة خلال القرنين السادس والسابع هجري.	
المبحث الأول: مفهوم الرحلة عند العرب وأنواعها.	15
المبحث الثاني: أنواع الرحلات المغاربية الى المدينة المنورة ودوافعها.	20
المبحث الثالث: مجاورة العلماء المغاربة للحرم المدني وحضورهم العلمي على مستوى المراكز العلمية بالمدينة المنورة	36
الفصل الثاني جهود العلماء المغاربة بالمدينة المنورة في العلوم النقلية والعقلية.	
المبحث الأول: جهود علماء المغرب الإسلامي بالمدينة المنورة في العلوم النقلية.	47
المبحث الثاني: جهود علماء المغرب الإسلامي بالمدينة المنورة في العلوم العقلية .	57
الخاتمة	70
قائمة المصادر والمراجع	72
فهرس المحتويات	82
الملخص	83

الملخص

الملخص باللغة العربية:

إن هـذه الدراسـة المعنـوة بـ: "درو علمـاء المغـرب في تنشـيط الحيـاة العلميـة في المدينـة المنـورة خـلال القـرنين 6 و7 الهجـريين " تضـمّنت بـين دفتيهـا تسـليط الضـوء علـى جانـب هـام مـن الحيـاة العلميـة، والمتمثـل في تلـك العلاقـات والـروابط الـتي كانـت قائمـة بـين المغـرب الإسـلامي والمدينـة المنـورة خـلال فـترة العصـر الوسـيط المحـدد بـين (ق06-07هـ / 12-13م)، والتعـرف علـى فئـة مـن العلمـاء المغاربـة الـذين انحـدروا مـن المغـرب الإسـلامي باتجـاه أرض الحجـاز يهـدف الإفـادة والإسـتفادة في مجـال العلـوم الشـرعية والعلـوم الأخـرى، وعـن الأسـباب والعوامـل الـتي أدّت بهـم إلى الانتقـال مـن مـوطنهم الأصـلي والرحلـة نحـو تلـك الـبلاد الطـاهرة أرض الحـرمين سـواء كـانوا فـرادى أو جماعـات انطلاقـا مـن القـرن السـادس إلى القـرن السـابع للهجـرة، ، ومـن ثمـة ركـزنا في بحثنـا عـن جهـودهم وإسـهاماتهم في المجـال العلمـي والفكـري مـن خـلال العلـوم الـتي برعـوا فيهـا (سـواء النقليـة واللغويـة العقليـة)، ثم عرجـت علـى ذكـر الأثـر الـذي تركـه المغاربـة في أربعـة مجـالات هـي الأثـر في المجـال العلمـي (المصـنفات والمؤلفـات) الـتي دوّنوهـا بالمدينـة المنـورة وورّثوهـا لأهـل الحجـاز ، والأثـر الـديني المتمثـل في تـوليهم للمناصـب السـلطانية (الإمامـة والقضـاء)، والأثـر التربـوي الاجتمـاعي المتمثـل في تـوليهم لمناصب هامة في المجتمع كـالأربطة والمدارس.

Summary in English:

This study, titled "The Role of Moroccan Scholars in Revitalizing Scientific Life in Medina during the 6th and 7th Centuries AH," highlights an important aspect of scientific life by focusing on the relationships and connections between Islamic Morocco and Medina during the medieval period (6th-7th centuries AH / 12th-13th centuries CE). It explores the group of Moroccan scholars who traveled from Islamic Morocco to the Hijaz region, aiming to benefit and contribute to the fields of religious and other sciences. The study investigates the reasons and factors that led them to leave their homeland and journey to the sacred lands of the Hijaz, whether individually or in groups, starting from the 6th century to the 7th century AH.

The research emphasizes their efforts and contributions to the scientific and intellectual fields through the sciences they excelled in, including both transmitted (religious) and rational sciences. It also discusses the impact of the Moroccans in four main areas: scientific impact (the works and compositions they authored in Medina and bequeathed to the people of Hijaz), religious impact (their assumption of sultanic positions such as imamate and judiciary), and socio-educational impact (their holding of significant positions in society, such as in religious complexes and schools).